الفارس الذهبي

مسرحيات بالعامية

موت

دار المدوح مروان للنشر والتوزيع

5679

مولانا....

مسرحيتان بالعامية

مسرحيتان بالعامية: مولانا
ليلى والذئب
تأليف: الفارس الذهبي
لوحة الغلاف: يوسف عبدلكي
تصميم الغلاف: صفاء الست
الإخراج: محمد غيث الحاج حسين

الطبعة الأولى: تموز /2008 م/ جميع الحقوق محفوظة لدار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع

التوزيع في سورية:
دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع
دمشق – ص ب: /9838/
هاتف / فاكس: /6133856/ 11 00963
جوال: /266681/ 94 00963
البريد الالكتروني: ADDAR@mamdouhadwan.net

تم إنتاج هذا العمل (مولانا) بمنحة من المورد الثقافي

This production (mawlana) was made possible through culture resource's production awards programme.

Cette production (...mawlana..) est réalisée grâce à un des Prix de Production des Jeunes Artistes de la Ressource Culturelle

الى من علمنا الفرادة،

خيري الذهبي...

المحتوى

مقدمة نصر حامد أبو زيد	11
مسرحية مولانا	19
مقدمة حكيم مرزوقي	59
ليلى والذئب	65

المولى "عابد"
والبحث عن أوركسترا الكون

تقديم: نصر حامد أبو زيد

ترددت كثيرا في كتابة هذه المقدمة رغم إعجابي الشديد بالمسرحية حين قرأتها أول مرة. ترددت – أولا – لأن الكتابة المسرحية أو النصوص الدرامية ليست مجال اختصاصي، رغم أنني اعتبر نفسي متذوقا لكل أنماط النصوص الأدبية ولكل أنواع الفنون، مجرد متذوق ولست متخصصا ولا ناقدا. وترددت – ثانيا – لأنني إزاء نص ولست إزاء عرض. وفي حدود معلوماتي المتواضعة، النص في المسرح مثل النوتة الموسيقية التي كتبها المؤلف الموسيقي. وكما تحتاج النوته الموسيقية إلى مايسترو يقرؤها ويوزعها على آلات العازفين، ويقود الأوركستر، لكي يصبح النص المكتوب في النوتة موسيقى، كذلك يحتاج النص المسرحي إلى ممثلين وديكور ومخرج وإضاءة حتى يتحول إلى عرض مسرحي. ماذا

أفعل وقد طُلب مني أن أكتب مقدمة لهذه المسرحية، طلبٌ عزيزُ من شخصٍ عزيزٍ لا أتحمل أن أرد له طلبا؟

قرأت المسرحية عدة مرات فازداد إعجابي بها جداً، وساعدني المؤلف الذهبي كثيرا بإشاراته وتوجيهاته فجعلني أحوِّل في مخيلتي النص إلى عرض، أعترف بأنني استمتعت به كثيرا.

ولا شك أن المؤلف أدرك بحسه المرهف الرائع وقراءته الدقيقة للموضوع أن علاقتي بمولانا ستساعدني على فك شفرة توجيهاته وإشاراته، وأرجو أن أكون نجحت. بل وأرجو للمخرج والممثلين وصانعي الديكور والموسيقى أن يجيدوا قراءة هذا النص الذي لا أتردد الآن في القول إنه مذهل.

الفضاء، فضاء العرض، هو سفح جبل "قاسيون" حيث مرقد ابن عربي في دمشق بمآذنها وقبابها وباختلاط أصوات المؤذن بأصوات المنشدين، بأصوات الأغاني الصادرة عن المذياع، بأصوات الباعة والمنادين على السلع في السوق. وهي أصوات لا تقدم خلفية للمشاهد، بل هي جزء من العرض، ينجح المؤلف في توظيفها كجوقة بحسب المقام والحال (حال البطل ومقامه). اختلاط الأصوات هذا وتعددها واختلاف طبقاتها وتنغيماتها ماذا يعني؟ أوركسترا الموسيقى الكونية؟ ربما.

البطل الوحيد في العرض درويش شاب "عابد" في ثياب المولوية، وهو ابن خادم مسجد مولانا محيي الدين بن عربي. الأب رجل صالح ينتمي إلى هؤلاء المؤمنين الطيبين الذين يفزعهم كلام المتصوفة وشطحاتهم؛ لأنهم أقرب إلى الأمان في عباءة الدين المعياري، دين الحلال والحرام، دين المكروه والمباح. هؤلاء المؤمنون الذين يعشقون الاحتماء بالجماعة، ولا يحبون الفرد الذي يخرج عن السرب: التغريد خارج السرب نشاز. لكنهم في نفس الوقت لا يكرهون المتصوفة، بل يحبونهم ويجلونهم وإن

كانوا لا يوافقون على اختياراتهم. هذا هو بعد الصراع الأول في النص حيث الإبن أشبه بروح تبحث عن اكتمالها وعن صفائها. يريد أن يلتحق الشاب بفرقة المولوية ليتعلم طقوس الذكر التي يقودها الشيخ "عبد القدوس". الأب يؤرقه أكثر ما إذا كان ولده قد حفظ الألفية – ألفية ابن مالك في النحو – متفوقا على أقرانه. التفوق على الأقران هو معيار التفوق عند الأب.

يتجلى بعد ذلك الصراع الثاني بين الفتى البطل والشيخ عبد القدوس بعد أن يوافق أبوه على مضض أن يلتحق بالجماعة الصوفية ليتعلم فنون الطريقة والحضرة. الشيخ عبد القدوس شيخ طريقة، التصوف بالنسبة له هو "الطاعة" المطلقة من جانب المريد للشيخ، ووجوب أن يظل المريد في الحضرة يتحرك وينشد مع إيقاع المجموعة. تصوف الطريقة هذا لا يناسب روح الفتى المتوثبة لما هو أعلى وأعمق، للرقص مع أنغام الكون وللاتحاد بالمطلق في صفائه وجماله وجلاله. يريد "عابد" أن يندمج في أوركسترا الموسيقى الكونية، التي تعكسها موسيقى تداخل الأصوات حول قبر محيي الدين.

من أين أتى للشاب هذا الطموح الذي يتجاوز كل الأعراف الدينية، بما فيها أعراف الطريقة وقوانينها؟ إنه "الحب"، إنه الوقوع في أسر الجمال الإنساني للمرأة بسحر النظر وحده، النظر المختلس الذي يوقع الشاب في فزع أنه قد ارتكب رذيلة التلصص على الجيران. الجيران بنات أوروبيات يستمعن إلى موسيقى غربية من راديو استطاع أن يسمعه. وقع الفتى في الحب فاستأنس به الطير ولم يخشه كما كان يفعل من قبل. إن "الحب" بداية التصالح مع الكون. هكذا يمر الفتى بتجربة الحب فترفعه. يلتقي "عابد" بالشيخ الأكبر في "رؤيا" فتنفتح له الآفاق المجهولة من التجربة الصوفية. يطمئنه الشيخ أن الحب هو أصل الوجود، وهو اللحمة التي تربط أعضاء الكون.

المسرحية تجوب في آفاق متعددة من الحياة: الحب، الفقر، السعادة، الرضا، الأحلام والرؤى لتوحي برسائل وليس برسالة واحدة. من المستحيل الإلمام بكل الغنى والروعة والثراء الذي يتضمنه هذا النص الصغير في مقدمة مثل هذه. كم أتمنى أن يتاح لهذا النص المحكم ما يليق به من عرض، وكم أتمنى أن أكون أول المشاهدين.

مقدمة لا بد منها

مسرحية مولانا، والتي صنفتها ضمن فن المونودراما، تستقي بالخلفية الأساسية لها من أصول وبدايات المسرح المعروف في اليونان حينما كان الممثل يقوم بأداء دوره التمثيلي وحيداً ثم أضاف عليه شسبس الممثل الثاني والجوقة.

ومن هنا انطلقت في بحثي مع الدرويش عابد الذي يؤدي دوره وحيداً على الخشبة ولكن بمرافقة جوقة افتراضية ممسرحة مسرحة كاملة وأداؤها مؤسلب بشكل كامل لتشكل كسراً للمتلقي في حل إيهامه ولتذكره بصراع الفرد مع المنظومة المحيطة به مهما كانت وأينما كانت... الجوقة في هذا العمل هي المجتمع القاسي هي صوت الآخرين عندما يضرب الداخل، هي صوت الضمير البشري والوعي عندما يتكلم، وهي صوت اللاوعي عندما يتحرك.

إن صراع الممثل مع الجوقة أو الإنسان مع المجتمع هو الفعل والحراك الرئيسي في كل من الحياة والواقع من جهة والمسرح والخشبة من جهة أخرى وهذا النص بالتالي هو العودة الى الأصول من كلا الطرفين.

في هذا النص يكون الصراع الداخلي هو المحرك لحياة هذا الشاب الذي يتمتع بفردانية عالية تجعله يرفض الانخراط في المجموعة ويصر على أن يبقى صوتاً متفرداً وهو ما يدفعه الى السقوط والانحدار من مجتمعه .وهذا ما يجعله يفهم التصوف بفردية وعلى طريقته الخاصة مع الاحتفاظ بقداسة المقدسات .

هو صوت متفرد وعال ولكن وحيد وهذا ما يجعل آلة المجتمع تسحقه.

إن أداء البطل هو أداء إيهامي كامل بعكس الجوقة المؤسلبة كما ذكرت، وهذا ما سيخلق إسقاطاً للأداء بين الفرد والمجموعة ومحاكاة شكلية لمضمون العمل .

أقترح لهذا العمل أن تؤدي الجوقة الأدوار الأخرى كلها فتكون الأصوات الأخرى التي تدخل على البطل... وهذا مما يساعد على تعزيز الفكرة. هذا العمل مهدى الى خاتم الولاية الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الذي يكمن السر في رسالته في تفسير المساحة بين الأنا والوجود.

(الذات والموضوع) من خلال تجربته الصوفية التي كانت رسالة محبة راقية وشفافة لبني البشر أن أحبوا بعضكم فتصلوا لمحبة الله عز وجل، ولأنه قد استقر في فهمه أن إدراك الوجود خارج الأنا جهل وحيرة، وأن مقاربته بوساطة العقل وباستخدام التفكير المنطقي لا يمكن أن ينتج سوى دوران في خواء وضياع. ثم إن محاولة الدوران الفاشلة لدى البطل عابد بين ما هو إلهي وما هو إنساني - في فهمه - لم تكن إلا محاولة لإقصاء الإنسان عن نفسه ذاتها. وفي هذا السياق أشير إلى أن العلاقة بين الأنا والوجود هي علاقة معرفية بالدرجة الأولى.

ان الصراع الذي يعيشه البطل عابد ضد مجتمعه الذي يؤمن بالحلول الجمعية لكل تفاصيل المجتمع والقامع تقريباً لكل التجارب الفردية...

هو بشكل أو بآخر الصراع ذاته الذي عاشه الشيخ محي الدين بن عربي بفرديته العالية ضد المجتمع المتدين المتطرف، والذي رفض بكل الوسائل مفهوم تواصل العبد مع المعبود دون واسطة أو وسيط... ذلك المجتمع الذي رفض حب الفرد للذات الإلهية عبر المفهوم الشخصي للذات الإلهية .

هذا النص مهدى لروح الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي لما يمثله من طريقة تفكير وسلوك أثرت بالكثير وساهمت بتكريس فلسفة الحب.

الفارس الذهبي
2007\9\4

دمشق

سطح أحد المنازل الدمشقية العربية في سفوح جبل قاسيون وتحديداً في حي الشيخ محي الدين.

في العمق تبدو عشرات المآذن، على الطراز المملوكي والأيوبي... أصوات بعيدة من الآذان والأناشيد... أسراب الحمام الأبيض ترف في السماء...

يصعد شاب من الدرج الى سطح المنزل... الشاب يلبس لباس الدراويش المولوية... يتلفت يمنة وشمالاً... يحاول النظر من فوق أحد الجدران نحو بيت الجيران... يعود ليجلس مستنداً على خزان المياه الحديدي ليقول بهدوء:

آخ يا يا شيخ محدين...

آخ يا شيخي...

آخ لو تعرف...

ثم ينهض...

نحو الجمهور...

عابد : الشيخ محدين وما أدراكم ما الشيخ محدين.... أحلى حارة بكل الشام... وأكتر شارع لساتو شامي.... لساتو أصلي... مع أنو برات السور...

الشيخ محدين كعبة البسطاء، و خيمة المحروم، الشيخ محدين عناية البردان وغطا المستورين، آخ يا شيخي لو أنك بتسمع هلق لالتلك شو عم يصير معي وشو صار بهالدنيا آخ يا شيخنا لو أنك معنا، شو كانت فرقت معنا !!!.

بياعين الخضرة واللحمة، والفواكي، والحلو، والسمك، والعجقة والناس، والنسوان، والولد... إيه... سوق طويل وحياة طويل، لا والله قصيرة ما بعرف!!! .

(أصوات الجوقة يؤدون أدوارهم بأسلبة كاملة وهم يصرخون على الفواكه والخضرة واللحوم والدخان: يرجى مراعاة الأناشيد الأصلية لكل مادة من المواد، تستمر الجوقة في هذا الأداء لحين انتهاء مشهد السوق)

الجوامع والمدارس والزوايا المتصوفة، شي مملوكي، وشي أيوبي، وشي أموي، والشيخ محدين...قاعد بالنص متل الملك، والكل محاوطينوا وواقفين حواليه متل التلاميذ بحضرة شيخهن... والناس... آخ من الناس.

بلشت القصة معي من هنيك من بين الناس، من حارة الشيخ محي الدين... هنيك كنت ساكن... مع أهلي وكل.

وأمي... كانت بالليل تعمللنا وقت نرجع أطيب أكلة...، أكلة الأكلات...، البيض المقلي مع القاورما...!!

والقاورما للي ما بيعرف: هيه اللحمة المفرومة، لحمة العجل المفرومة والمقلاية مع البصل والملح والفلفل... آخ شو طيبة القاورما... كنت دائماً أسرق شوي وحطلهن حّد، واهرب من عيون الناس وأكلهن على جنب، أي شي على جنب كنت حسه طيب... هيك... ! لا تسألوني ليش... بعرف أنو هادا الشي أنانية بس أنا من يوم يومي كنت حب كون لحالي واعمل أشيائي لحالي ما بعرف ليش!! كنت روح على جنب المدرسة الشركسية أو ورا شي تربة أو مزار أو مدفن: الأتابكية أو الصاحبية أو تربة شي ولي مجهول واقعد لحالي أتأمل بالقاورما... هنيك بحارة الشيخ محدين اللي هي مخلوطة خلط مثل القاورما، بس بدل الملح تجارة وبدل الفلفل تصوف، حارة مالها مثيل بالعالم... بتكون واقف بره عم تشتري من شي واحد شغلة أو غرض.. وأنت بتعرف أنه هيه أحسن شي بالسوق وبتعرف أنو البياع عم يسرقك وينصب عليك وأنت موافق، لأنو بضاعته ممتازة، وأحسن شي بالبلد وهوه عنده هالثقة اللي بتخليه ما يتنازل بالسعر لأنو بيعرف أنك زبون نوعية... ومشان هيك جاية عالشيخ...بعدين بتخلص شري وبتفوت عالجامع (جامع الشيخ محدين) لتصلي ركعتين أو لتقرا الفاتحة على تربته الطاهرة الله يرحموا ويقدس سره (الفاتحة) (الجوقة بجميع عناصرها يقومون بقراءة الفاتحة بخشوع).

قام بتشوف نفس الزلمة اللي سرقك برضاك بره قبل شوي... بتشوفوا ساجد وقاعد عم يدعي والدموع عم

تشر من عيونو شر بكل صدق وإخلاص وتعبد وزهد، وهوه قاعد بين ايدين ربه وعم يناجيه ويشتكيله.... غريب!!... غريب!!

يا أخي هالقاورما شلون معمولة؟... بس طيبة وحلوة وظريفة ومنيحة بأيام الغلا...

الجوقة : قاورما... قاورما، ، قاورما[1].

كنا نقعد على الأرض ببيتنا بالشيخ محي الدين كلنا... أنا وأبي وأمي وأخواتي... أبي كان مسؤول تكية الشيخ محدين... كان هوه اللي ينيم العالم كل واحد بمكانه ويفتح الباب ويسكروا... المفتاح كان معه! ... أبي الحجي زين العابدين كان هوه المسؤول عن جمع التبرعات اللي بتجي وتوزيعها على الفقرا، كل فجر يوم اتنين... أبي الحجي زين العابدين اللي كان الشيخ محدين كله يوقف على حيله وقت يمر... الحاج زين العابدين بدقنوا البيضا المهيبة وجلابيتو اللي متل التلج ومسبحته الطويلة اللي عم بترن بايدوا رن... ونحنا بالبيت كنا نخاف منو أكتر من كل العالم، لأنو كان ماسكها حنبلية معنا... ، يعني ومزودها شوي: ... الموسيقى... ممنوع... والتلفزيون ... ممنوع... روحات وجيات... ممنوع... كل شي الله خلقنا من شانه هو العلم والعبادة وخدمة الناس...

---

[1] القاورما: تسمية تركية لطعام من بلاد الشام، وهي عبارة عن اللحم المفروم المقلي مع دهنه ويحفظ في علب كي يأكل في أيام الشتاء القاسية

كان يوقف قدام الحلّة وبايدوا الكبجاية متل الراعي اللي حامل عصاه، وعم يسكب لهالعالم الفقرا على باب الله واللي واقفين بالطوابير لآخر السوق كل واحد حسب الطنجرة اللي جايبها... يوم فاصوليا عيشة خانم ويوم شوربة عدس ويوم رز بفول.

ولبعد صلاة الفجر... بتشوف هالعالم: يلي حامل طنجرة ويلي حامل زبدية وهادا طاسة، والحجي بايدو... عم يصب اللي جادوا فيه أهل الخير شي بلحمة وشي بلا لحمة، شي ربطات خبز وشي كياس حنطة.وهلق شوي بتذكرهم أنا : أبو طه الميداني كان ما يقطع اتنين، وأبو مستو التحتاني كمان، والحجة أنطوانيت متل ما كنا نقلها كانت الله يرحمها تحب الخضرة كتير... قال بتمشيلها معدتها بس الله يذكرها بالخير كانت كل ما تعبي زبديتها النحاس توقف وتقول الله يرحمك يا شيخنا... وأنا اندهش وأسألوا لأبي: ليش؟مو هيه مسيحية؟ ويقلي: "قدس الله سره" ويسكت . إيه، وأبو بسام الأعمى كمان كان يقاسم الحمامات بخبزاتو دائماً ويوقف بصوتوا العالي ويرفع عكازتو ويصرخ: الله يديمك يا حجي الله يديمك .

الجوقة : (الله يديمك يا حجي، الله يخليلك ولادك، الله يعز من مقدارك، الله يوجهلكن اللي فيه الخير كيف ما وليتوا وشكن).

كانت تكية الشيخ محدين مركز للتبرعات على مستوى، وبتشوف نسوان هالأكابر بيجوا بالمرسيدسات

والسيارات السود الكبار وبيركض الحجي لعندهن، وبعدين بينزل الشوفير وبيفتح الطبون وبتنزل الخيرات...ومو عن شفقة وفضلة لأ!! أنا بتذكر كان في وحدة الله يرحمها تجي دوم، وتنزّل التبرعات اللي كانت جامعتن من رفقاتها ومنها! والله نسيت شو اسمها... كان الحجي ينزل الغراض وهيه تحط على راسها وتفوت عم ترجف ع الجامع... لحالها... وتطلع بعد شي نص ساعة وعيونها معبايين دمع وكأنها بكيانة... مرة تخبيت بالجامع قلت بدي شوف شو عم يصير معها، وكنت عرفان أنو هادا يومها وشفتها. كانت عم تحكي مع القبر...يا لطيف ألطف.

الجوقة : (يا لطيف ألطف... يا نجي الألطاف نجنا مما نخاف)...

ولك ايه كانت عم تحكي مع الشيخ وتعاتبو وترفع ايديها للسما وتعيط وبعدين تقعد، وترجع تحاكيه وتقوله: أنت قلت هيك وبعدين تقعد، وقتها ما فهمت منها شي... بس اللي حسيتو اني خفت وما راحت من بالي أبداً هي القصة.

وكنت ساعد الحجي دوم أنا... وهيك صرنا مشهورين أنا والحجي لأنو هنه بيسموه أبو عابد... على اسمي أنا... عابد... بس يا حسرة شهرتنا... ما طبقت الآفاق ولا شي متل ما كنت مفكر... ولا جابتلنا شي إلا الدعاوي والحسنات لأنو نحنا صرنا مشهورين بأحياء العشوائيات والمخالفات والفقرا والمعدومين ويلي بلا بيوت أو سقف يحويهن... أيه مو مشكلة كلو شهرة...

ايه في مرة من المرات كنت واقف عم هدي طنجرة الفاصوليا، وكان أبي عم يسكب للعالم والدنيا كانت برد وهوا والسما محبّسة ما عم ينزل مطر يعني برد متل السم... والدور كان طويل وتعبان، متل الواقفين كأنهن طالعين عالسما ومالن عرفانين ليش... وأنا عم بصفن، كان الدور عم بيقل ويقصر لحد ما قال الحجي: مثل العادة الجوع أكبر من الطعام.

واتطلعت عالحلة... كانت فاضية وأبي عم يقشط الفاصوليات البقيانين... اتطلعت لقدامي لقيتلك واحد ختيار واقف وحامل طاسة بلاستيك وايديه عم ترجف... صار يقول: الله يديمك يا حجي... الله يخليلك ياه... أبي اتطلع فيني وقال... لا اله إلا الله... ودار وشو وفات لجوا... الختيار ضل عم يطلع فيني وهوه ساكت وايديه عم ترجف... اتطلعت فيه بدون ما احكي نزلت دمعة من عيني... وحملت حالي وركدت وركدت حتى وصلت عالبيت، فتت فوراً عالمطبخ فتحت البراد... كانت أمي شايلة لأبي صحن كباب هندي وصحن سلطة مشان وقت يرجع يتعشاهن... حملت الصحنين وسكبتهن بالسفرطاس ورجعت ركد بالنزول... كنت عرفان أني مارح لاقيه للختيار... وما لقيتو... دورت عليه ليكون متخبي بشي باب من بواب المدارس أو باب شي تربة... ومدرسة مدرسة فتشتهن لحد ما شفتوا... كان قاعد وقدامو كيس أبيض وعم يلاعب قطة بالخيطان... قربت منو وقلتلو شرف حجي هدول من أبو عابد...

أخد الأكل وبلش يدعيلي أنا والوالد ، وشال قطعة كباب ورماها للقطة... فصارت تبكي هي .وأنا وقفت وصرت أبكي كمان على صوت دعوات الختيار..

قام قلي: شيخنا علمنا "وأشر على جامع الشيخ محي الدين " انو الكائنات كلها أخواتنا وكلها عندها أرواح بتزعل وبترضى وبتجوع .وكمل دعاؤه...

بس يبدو أنوا دعوات الفقرا حيلها مقطوع من التعب والتعتير والجوع وما بتوصل للسما...

الجوقة : (تردد بشكل مسرحي مؤسلب دعوى الفقراء، حيث تقسم الجوقة الى قسمين قرار وجواب). (يا الله يا الله يا الله يا رب يا نافع يا رحمن يا رحيم أسألك بحرمة هذه الأسماء والآيات والكلمات... سلطاناً نصيراً ورزقاً كثيراً وقلباً قريراً).

إيه سيدي لا الفارة طاهرة ولا دعاويها مستجابة...

ومثل ما كان هداك الرسام اللي ساكن بحارتنا كاتب بمرسمه... على لوحة معلقة على الحيط (الله لا يحب الفقراء).

الجوقة : أستغفر الله العظيم..... أستغفر الله العظيم .

ايه

الشيخ محدين وما أدراك ما الشيخ محدين.... .

وقت نزلت لأول مرة بحياتي عالسوق تبع الشيخ محدين، كان عمري شي 10 سنين، أخدني وقتها أبو

عـابد معـو لـزيارة الشـيخ عـبادة، وبعديـن قللـي بـنروح نصـلي العشـا سـوى قـدام قـبر الشـيخ محديـن ومـنرجع عالبيت فوراً.

أبي الحجي كان مو كتير يحب الشيخ محدين بس كان يحترمـو كـتير ويقـدرو ويقـراله الفاتحـة دائمـاً، وبعديـن يدعيله بالهداية والـرحمة... مـا بعـرف ليش... بس مع هيك كان جامعو هو أحب جامع على قلبه وأقربن عليه..

فكان ياخدني ونروح

وأنـا ماشي ورايح لهونيك ومشحوط ورا أبي اللي جاررني وراه، كنـت مـا عـم أقـدر شـيل عـيني عـن الـناس وعـن البضـائع والسـمك اللـي فـاتح تمـو وقـاعد فـوق بعضـو وكلو تلج... وشـي عـن راس خـاروف مفتوح هيك وبتمو جـرزة بقدونـس أو رقـبة جمـل وبـتمو خسـة... مـا كـنت أعـرف ليش بتمو دائماً في حشيش... وعاليمين أهرامات معمولـة مـن البـندورة الحمـرا أو البتـنجان الأسـود أو التفاح... والذي منو.

النسـوان المطخية مشان تنقي ملابس داخلية رجالية... أو ولاديـة... والأرض مفروشـة ورق خـس وطـين..... بسـطات الكـتب والصـور والآيـات المبروظة... وبياع التهريب اللي قـاعد بـتم المدرسـة الجركسـية ومخبي بضـاعتو جـوا بخزانة الصرامي...

ايه ونحنا ماشيين بين الحارات كنا هونيك عم نسمع الحضـرات والتدكير وهون فرقة عم تتدرب على أغاني مولد النبي:

(الجوقة تتقسم قسمين... قسم يغني طلع البدر علينا... من ثنيات الوداع...

الجوقة2 : عليه الصلاة والسلام
عليه الصلاة والسلام... صلى الله على محمد صلى الله عليه وسلم)

كنت أسمع المنشدين كل عشرة مع بعض، عم يأدنوا أو يدكروا وكنت أتدايق كتير... لأنو أنا بعرف أنو صبح ابن أبو صبح معهن وصوتو والله يجيرنا! من أنكر الأصوات...بس بيمرق بالعجقة...وأنا أكره شي علي العجقة اللي بتضيع كل شي وكل طعمة، لأنو أنا روح قلبي أسمع مأدن واحد عم يجّود لحالوا ويفرّد ويتلوى على طرب صوتوا . فكنت أمشي وغني لحالي... أو أدن لوحدي وأنا مسلطن على صوتي.... منشان بّعد صورة صبح عني قد ما بقدر.

عابد : (يؤذن قليلاً) الله أكبر الله أكبر... أشهد أن لا إله إلا الله.
ما كنت حب الأصوات اللي بتتخبا ورا بعضها، كنت أكره الجوقة... وياما بالحمام كانوا يدقو عليي الباب وأنا عم غني النبويات أو القلب يعشق كل جميل... ايه هدا حال الدنيا... يا ريتها كلها حمام.بس بمي، لأنو هيه حمام مقطوعة ميتو..
رحنا على بيت الشيخ عبادة وشربنا شاي وأكلنا عجوة وبرازق، وبعدين قرب الشيخ عبادة على أبي وقللوا بدي قلك قصة سرية وخاصة: قلله أبي: تفضل، عليك الأمان فسرك في بئر: قام أخد الشيخ عبادة نفس وقال: أنا

بعرف أنو افشاء الرؤية يفسدها بس والله يا أبو عبادة روحي ما عادت طاقت السر ولا احتمالو، هز الوالد راسو بسخرية وأشرلو بايدو انو كمل... فكمل الشيخ عبادة وقال: مبارح بالمنام زارني رجال شيخ لونو أبيض طالع النور منو، دقنوا بيضا وبسمتوا منورة والنور طالع من وجهه، فحسيت بالأمان قلتله مين انت قال: انا ملاك... حارس الحي، وأنت يا ابني الله باركلك وباركك.

وبعد هالكلمة راح الملاك وفقت أنا من النوم فشو رأيك يا أبو عابد:

قام قلو أبي: أصلحك الله يا عبادة، فكل هذه التوهمات مرجعها التصوف الذي ما انفكيت عنه دارساً ومجرباً !؟واقسم لك بأن ما تفعله حرام فالله سبحانه تعالى أمرنا بالعبادات والأركان على سنة الله ورسوله وكفى المؤمنين شر التأويل، فاذهب الى ما ينفعك وينفع عباد الله على أن تبتعد عن الأوهام والمشاهدات...

وكمل ابي الحديث وهوه عم يخانق الشيخ عبادة... ابي كان ماسكها حنبلية شوّي يعني ما بيحكي غير بالفصحى وما بيرضى غير باللي أمرنا فيه الرسول المصطفى وكان بينوا وبين حالو ينتقد الشيخ محي الدين ويدعيله بالهداية والغفران كل ما مرق جنب جامعو...أما أنا فحكي الشيخ عبادة فات على جسمي متل الكهربا... هزني هز ما بعرف ليش، طلعت على اسطوح بيت الشيخ وبلشت اتطلع عالسوق: ناس متل

النمل رايحة جاية طين ورجلين وتياب بيضا منشورة على حبال الغسيل وناس عم يسجدوا بالجامع... وصراخ وعياط وناس عم تتقاتل شي عالدنيي وشي عالأخرة...
رفعت راسي واتطلعت عالسما وتمنيت لو كان عندي أجنحة لكنت طرت وبعدت عن كل هالعجقة ورفرفت لحالي وضليت طير لأوصل لأقرب نقطة بتوصلني لعند الله جل جلاله لقله: أنا بحبك ،بحبك لأنك خلقتني هيك وخليتني أنا والوالد نساعد هالناس بدل ما نحتاج حدا يساعدنا... وصرخت: أنا بحبك... حتى صار السوق كلوا يتطلع عليي...
(يتغير المشهد وتصبح المآذن أعلى وتظهر كلمات مكتوبة من المصابيح الكهربائية كما هي العادة في بلدان الشرق الأوسط مكتوب فيها محمد(ص) والله (عز جلاله)

❖❖❖

بزماناتي كنت قاعد بالفرنكة ببيتنا بآخر الصالحية... يعني قريب من الشيخ محدين هلق...
والفرنكة بيبيتنا يعني دروشان... مو كل هالقد... غرفة قبل الاسطوح... وقدامها درابزين معبا تنكات سمنة فاضية أبي جايبهن من التكية، فيها تراب، ومزروعة بالشب الظريف والياسمين العراتلي وبزاز الكلبة وراخي شعره... الى أخره.
هنيك كنت قاعد عم احفظ ألفية ابن مالك، لأنو الحجي أبي وعدني بألفين ليرة إذا بسمّعها قدامو وقدام

الشيخ مطيع وبرفعلو راسو بالحارة قدام كل المشايخ والجيران، لأنو الشيخ مطيع كتار حكي والحارة كلها بتنطبل بالقصة إذا بيحضر هيك سهرة... على كلن وقتها قللي الحجي أبي: إذا حفظتها بتكون سبقت ابن الحاج عبد القدوس اللي عمره 18 سنة... وكان عمري وقتها 16 سنة.

وأنا قاعد عم بحفظا والسما معباية سنونو... والدنيا عند المغيب يعني قبل صلاة المغرب بشي نص ساعة... والهوا حامل معوا التدكير والفواتح وشوية أدعية وأناشيد.. مع الدخان الأبيض تبع اللحمة المشوية من عند اللحام، وإذا بسمعلكن صوت موسيقى فرنجية... يا دوب مسموعة... العمى قبّ شعر بدني قبّ... وشارع المدارس اللي مليان موادن عم تصدح، ضايج ضوج قبل الصلاة.. بتطلع موسيقى فرنجية...

حسيت بالحمية... وطلعت على الأسطوح، الدنيا كانت فاضية فوق، والبيت كان فاضي... الأسطوح تبعنا كان فيه بساط عليه فليفلة حمرا يابسة وبساط تاني عليه بامية ديرية مشان المونة وشوية صواني رب البندورة... نطيت فوقهن، واتعربشت على السور... تنوئزت نوئزة شوي شوي... وكان الصوت عم يعلا... وكلما ما كنت قرب وشي من حفة السور، كان الصوت يعلا ويعلا، لحد ما فقس بوشي ضو كتير قوي... متل البرق لمع بعيوني... العمى... بنات، العمى... شقر، سوفور... عم يرقصوا وحدة منهم حاطة رجلها بالبحرة ولابسة شي قصير... يا قوة الله...

رجعت لتحت نزلت لتحت السور وبلشت سمع ألفية الشيخ... العمى قول المقطع وعيدو وزيدو ،يفوت من هون ويطلع من هونيك ولا كأني صرلي ساعات عم بحفظ شي... ولا شي ،توترت وبلشت أرجف ... بعد شوي... حرقصني الفضول... وقمت تنوئزت مرة تانية... كانوا بنات متل الملايكة... متل القمار... شقر وبيض وسوفور، عم يرقصوا على موسيقى خفيفة فرنجونية... العمى لك هدول الأجانب المستأجرين الجداد اللي عم يدرسوا عربي ببيت أبو عدنان... هدول باب بيتهن بيفتح بالحارة التانية، مشان هيك ما شفتهن من قبل.

ضليت عم اتفرج... كانوا مبسوطين... بنات على بعض... حسيت حالي حقير ومنافق... بس والله يارب ما قدرت، ما قدرت انزل...

كنت مربوط بخيط من دهب شاددني من عيوني وما عم اقدر شيل نظري عنهن... كانوا عم يحكوا مع بعض بهدوء واقفين وعم يتمايلو... في... وحدة كانت بآخر الليوان عم ترقص وتدور لحالا... وكأنها بحضرة، مغمضة عيونها ونسيانة العالم... ووحدة تالتة كانت قاعدة وحاطة رجليها بقلب مية البحرة وعم تتطلع على المي... وعم تفكر ما بعرف بشو.

وفجأة هي يلي بالبحرة رفعت راسها وبضربة وحدة وكأنها شايفتني، اتطلعت علي وعملتلي باي.

العمى حسيت حالي قاعد بالزلط، قدام كل أهل الحارة، يارب ارحمني... ارحمني

الجوقة : (اغفر له يارب، يارب اغفر له).

واتكرفتت كرفتة من على السور... وقعت وجرحت كوعي، وشي متل البندورة الحمرا، بلشت اركض... نزلت الدرج... وطلعت من الفرنكة ودحكلة عالدرج على أرض الديار، فتحت الباب... كانت أمي فايتة هلأ عالبيت، قالتلي: وين؟؟

ماريت وضليت راكض.

وشارع المدارس كان عجقة وأنا دفش بهالناس.. وركضت وفتت تخبيت ورا مقام الشيخ محي الدين... رفعت الغطا الأخضر اللي فوق الضريح وحطيت راسي وقعدت وبلشت ابكي وادعي لربي يسامحني.

الجوقة : تردد دعاء الغفران:

(يارب اغفر... يارب اغفر)

(يارب ارحم... يارب ارحم).

وضليت طول الليل قاعد عم سمع الألفية بالجامع، لحد ما طلع الصبح، صليت صلاة الصبح ورجعت عالبيت...طلعت على باحة الجامع وكان فيه حمام عم ياكل كسارة الخبز والدرة اللي بيرموها الناس... فتت بين الحمامات وكملت طريقي والحمام ما اتحرك وكأني مو موجود مشيت شوي بعدين انتبهت!! درت وجي عالحمام وكانو عم ياكلوا ولا كأنوا في حدا مرق رجعت مرقت وما تحركوا... مشيت شوي باتجاه البيت وما سمعت غير الحمام طار، التفتت فشفت واحد

هلق فات عالجامع ومرق من بيناتهن متلي فخافوا وطاروا...

كان البيت كلو فايق، وأمي عم تبكي وأختي ارتفعت حرارتا... والحجي كان قاعد عم يسبح بالعداد، يمكن وصل لشي مليون عدة يوما.

قلتلهن: كنت بالجامع عم احفظ الألفية، اتطلع فيني وسكت الكل، أمي وأختي وأختي التانية والكل عم يستنى يسمع كلمة مني... قللي بصوت جهوري... أين كنت طوال الليل وصرخ: أجب ياعاق... وقفت: وبلشت قول أبيات الألفية من أول... اتطلع هوه وشوي شوي بلش وشوا ينفرد وحواجبو يبعدوا عن بعض وكل ما قول بيت كان وشو يفرد لحد ما صارت ضحكته لعند أدانه وأمي صارت تبسمل وتدعيلي ،وأختي انخفضت حرارتا وأنا صرت علي صوتي وبدع وقول وارفع صوتي وقول... ألف بيت من الشعر الخالص والحكمة

الجوقة : (بارك الله فيك بارك الله فيك).

ألف بيت من الموعظة والاعتبار وقواعد اللغة، كلها سمعتلو ياها..

وقف أبي وتركني وطلع من البيت وأنا كملت وكملت، حسيت بحالي، بيوما حسيت بدمعتي الغالية على خدي... ووقت خلصت ضمتني الحجة وبوستني وقالتلي يعلي عليك لا تغديت ولا تعشيت... رح أعملك فطور وقعدت وفردتللي هالسفرة جبنة بيضا ولبنة

وزيتون وزعتر وصحن كبير بيض مقلي مع قاورما ، تطلعت بالصحن وقلت يا رب...

طار عقلو أبي وحمل حالو وطلع من البيت وتاريه راح خبر الشيخ مطيع والشيخ عبد القدوس، وبالليل عمل قعدة عنا بالبيت وانفتحت صواني المحلاية والرز بحليب وانفردت صواني الشاي والقهوة المرة والقهوة البيضا..

وريحة المازهر عششت بالحارة لشي تلات أيام... إييه...

وقفت بأرض ديار الشيخ مطيع والتاني كمان كان متل أبي آخدها حنبلية وعازم هالمشايخ والمريدين والزوار، وقفت بالنص وبلشت سمّع وجود ،كنت عم قولها متل كأني عم غني وفرّد والبيت اللي كنت حبوا كنت عيدو وفرّد فيه ووقت خلصت ما حسيت حالي إلا وقعت على الأرض وجبيني متل النار...

وأنا محموم بالمنام... شفت حالي بمكان متل الصحرا وعن بعيد في شوية شجر وجدول مي صغير... كان معي عالم ما بعرفهن وكنت راكب حصان... قربت بالحصان من الغزلان... والغزلان كانوا حلوين متل النسوان... قربت واتفاجئت اني حامل سيف... وعبرت بين الغزلان وهيه ضلت عم تشرب وتاكل وكأني مالي موجود... ماخافت مني ولا من سيفي... ووراي عبر فارس كمان حامل سيفه فرفعت راسها الغزالات وهربت بسرعة... التفت فما عاد شفت حدا حواليي ،نزلت لأشرب مي وأنا عم بشرب شفت خيال واقف ورايي... رفعت راسي فكان رجال كبير بالعمر، النور طالع من وجهه، ولابس أبيض

بأبيض: قنباز صايا بيجنن وعليه حطة بيضة... قللي: السلام عليكم: رديتلو السلام... وسألته: مين أنت... قال أنا ختم النبي الهاشمي عليه الصلاة والسلام... محي الدين محمد بن علي بن العربي...

قلتلوا يا شيخي أنا ارتكبت معصية... ألا وهي اني تلصصت على بنت الجيران وتفرجت عليها ويمكن كون حبيتها وهي ما لها حنفية ومسلمة...

جاوبني... أما الإسلام..

فقد صار قلبي قابلاً كل صورة

فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف

وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت

ركائبه فالحب ديني وإيماني

.. قلتله: بس يا شيخنا شفتها وهي عم ترقص!

فقال: الرقص أقرب طريق للإنسان ليتقرب من الله وهو أول صلاة ابتكرها المؤمن ليقترب من الروح والذات الإلهية... لا تخاف طالما قلبك مغمور بالحب فأنت دائماً على حق، وكل الطرق اللي رح تمشي فيها رح توصلك، طالما بوصلتك الإيمان.. واكبر دليل هو السكينة اللي منحك ياها الرب...

قلتله: يا شيخنا ليش الحاج زين العابدين أبي بيضل يدعيلك بالهدى ..؟

قال لي:

أنـــا المطـــرود مـــن بـــين الموالـــي

ومـثلي مـن يصـد عـن الوصـال

رميـــت بأســـهم الهجـــران حـــتى

تداخلـت النـبال عـلى النـبال

أنـــا العـــبد المضـــيع حـــق ربـــي

فكيف تضيعني يا ذا الجلال...

اللي عم يعملو الحجي عملوه كتير قبله، بس قله أنو هوه لازمو شوية رقص ليقدر يتطلع لفوق ويشوف اذا كان فيه يسمع شو بيقول الرب جلّ جلاله...

تاني يوم عالفطور قعدت وكنت نايم كتير وعيوني مبجبجة، وأنا عم اكسر أول بيضة، اتطلعت فيني الحجة وقالت لي: يا ابني يا عابد أبوك بدو ياك...

وفتت على غرفة أبي: وكان هو قاعد على دكة عالية ودقنه بيضا طويلة ولابس جلابية بيضا كمان... كان ماسك مسبحة طويلة كتيركتير واصلة من أول الغرفة لأخرها ، من خشب الصندل وعيونوا ما عم يتزحزحوا عني... قال لي: شو قال سمعوك عم تهلوس بمنامك مبارح وتقول نسوان ورقص وحب. شو القصة يا عابد؟

عابد : قلت له والله ما بعرف، بس يا حاج أنا لازم لاقي طريقة لاتقرب من الله أكتر انا ما عم ترويني الصلوات الخمسة، ولا باقي الأركان، حاسس أنو فيني أعمل شي أكتر لحس حالي قريب من الرب ،قريب من حبيبي رسول الله...

صرخ فيني وقال: اخرس ولا تزد حرفاً فالله أمرنا بالعبادات ولم يطلب منا أكثر من هذا وكل ما هو زيادة حرام يا أيها المؤمنون كتب عليكم الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن استطاع إليه سبيلا...على كل الأحوال أمل ألاّ يخيب ظنك!! فالحاج الشيخ عبد القدوس كان يتأملك البارحة وقد تفحصك من أخمص قدميك لأعلى رأسك وقد أعجب بك وطلبك لجماعته.

هون طار عقلي أنا من الفرح بس كمل أبي وقال: لكنني رفضت، هو كان قد طلبك لجماعة الميلوية... يريد أن يعلمك الطريقة والرقصة، الحضرة والزار... اللهم افتح على أولادنا يارب، ولكن كما تعلم فهذا حرام...

(هنا تسقط الاضاءة على الأب وهو على مرتفعه، وعلى الابن الجاثي على الأرض في شبه سجود)

عابد : (يصرخ) دخيلك يا أبي دخيلك !!!الله يخليك لا تحرمني يا حجي من الوصال... ببوس ايدك أنا عم بستنى هيك فرصة... يا حجي الله يطول بعمرك... أنت بتعرف إني ترابيتك وبخاف الله ،وبتمنى عيش على محبته وحسه... دخيلك لا تبعدني عنو، قربني منو.

(هنا تتحول الجوقة لتصبح هي الوالد ،حيث تختبئ خلفه وتتكلم)

الجوقة : استغفر الله العظيم... استغفر الله العظيم..

الجوقة مع الأب: يجب أن أحميك من نفسك، يجب أن أحميك من طيشك، إنه واجبي

عابد : ببوس ايدك يا حاج لا تكسر قلبي... أنا بدي ارقص بحضرة رسول الله... لحد ما تطلع روحي مني، الله يخليك.. الله يخليلنا ياك...

تنقسم الجوقة قسمين: آمين.

وهون لما شافني منهار من البكي ومتسطح عالأرض راح موت... قال: إذن سأثبت لك خطأك وسأسمح لك ولكن ضمن شروطي..

اللهم افتح على أولادنا يارب... آمين .

اللهم افتح على أولادنا يارب... آمين.

امي واخواتي البنات صارو يبكوا من الفرح....

وأبي قعد هيك ورجع كرسيه لورا وصار يدعيلي بالتوفيق بصوت واطي وعيونه غرغرت بالدمع.

أنا صرت اتضحك... مالي عرفان شو... بس حسيت أنو هي شغلة كتير عظيمة ومهمة، فرصة العمر يلي عم بستناها من زمان...

طلعت على غرفتي... واتسطحت وادني اليمين عم تسمع التدكير والابتهالات وادني الشمال عم تسمع الموسيقى الفرنجونية الجاية من بيت الجيران، من عند المستأجرين الأجانب... ونمت

وبعد كم يوم أخدني أبي من إيدي الصبح بكير على حمام السوق، تحممنا سوا وقلو للمكيس قلطو قلط وكأنو اليوم عرسو... بدي ياه عم يضوي ضوي، كما الثوب الأبيض الخالي من الدنس، وشوشوا بإدنو وراح عالجواني...

اتطلع فيني المكيس وبلش يدعك فيني... إيدو متل المدحلة، واللّيفة خشنة تقولو سيفة مو هيك، وهو يدعك، والله وكيلكن ووكيل السما والأرض، هالفتايل منين كانت عم تطلع ما بعرف، ويفرك والفتايل تفرك، مع اني نضايفي والله العليم، كل يومين بتحمم والوضوء خمس مرات باليوم... بس سبحان الله، تقولوا قلبلي جلدي قلب... بلش يفركلي راسي وشعري، فجأة اتذكرت البنت يلي عملتلي باي كيف كانت حاطة رجليها بالبحرة ومبسوطة، ولا كأنوا في عندها هم... مبسوطة وآخدة راحتا وكأنو ما وراها طبخ ولا نفخ ولا مسح ولا جلي ولا جوز... اللهم إذا كانت متزوجة؟

الجوقة : ولا تقذفوا المحصنات... استغفر الله ولا تقذفوا المحصنات.

استغفر الله العظيم يعني كانت كتير مبسوطة، يمكن المي بالبحرة منعشة وهي مطروبة عالموسيقى... واتذكرت كيف عملتلي باي بإيدها وكيف وقعت... وفجأة، متل اللي كب علي طاسة مي باردة... دلق المكيس علي طاسة مي باردة..

صحتني، وقلي: ارفاع إيديك لفوق...

قلتلو شلون يعني...؟

عيط علي وقلي: ارفاااااااااع...

قام رفعت إيدي... طلع شفرة حلاقة من بشكيرو يلي لافو حوالين خصرو، وبضربة وحدة شلي كل الوبر يلي تحت باطي، وبضربة تانية الباط التاني..

قلي اشلاح البشكير..

قلتلو لا وحق النبي ما بشلحو...

قلي: عم قلك اشلحه.!

قلتلو: لا وحق النبي مالي شالحو هي عورة،

قلي لكن خود انت وفوت عالجواني.... و فتت.... وانا عم بتخيل حالي بليلة عرسي وحبيبة عم تنتظرني بالبيت لابسة الروب الأبيض.... .

المهم طلعت عالبراني وكان الحجي عم يشرب زهورات، اطلع فيني وقلي: نعيماً يا عريس... نعيماً يا مولانا... !

الجوقة : (تردد الجوقة أهازيج ترددها عادة العراضة الشامية للعريس قبل عرسه)

والكل كانو عم يتطلعو فيني وأنا ملفوف بمناشف ولوني أحمر متل الشوندر، وبعدين طعماني فول واشربنا شاي وامشينا... عالمدرسة الجهاركسية، بشارع المدارس... فتت وكان الشيخ عبد القدوس قاعد عالأرض مستند عالحيط وحواليه متل الدائرة قاعدين شباب من الخمسة للخمسين.

رمى الحجي السلام وراح... أنا خفت شوي... لاء خفت كتير... اتطلع فيني شيخنا عبد القدوس وقلي: قعود يا ابني واسماع شو عم قول... وقعد يحكي ويحكي، وكل شوي يستشهد بمأثورات الشيخ الأكبر ابن عربي... يلي أنا كل عمري مفكر اسمو محي الدين العربي... وشوي شوي...

هريت... شردت... وسرحت بأفكاري... وطلعت قدامي البنت يلي عم تعملي باي

وشوي صرخ علي الشيخ وقلي ويين، يا ابني!! بهالمصلحة ما فيك تشرد، بدك... تتأمل وبس وتفهم وتناقش وبس، أما إنك تبعد وتفكر بالأمور الدنيوية السخيفة ما فيك، قلتلو: حاضر....

وكمل وهوه عم يحكلينا عن محبة الله والرسول الكريم وانو كيف نحنا واجب علينا أداء الفرائض والسنن كما أمرنا بها الله ورسوله... وقت كنت أنا عم فكر بالحب والمحبة اللي قللي عليها الشيخ بالمنام... وصارت كلمة دين الحب اللي قلي ياها ترن براسي مع صورة البنت اللي شفتها...

ومرقت الأيام واجينا يوم من الأيام عالعملي، أنا وواحد شب من جيلي اسمو عبدو، نحيف ومسنكح وشواربو خراطيس خراطيس..

وقف قدامنا الشيخ وقلنا خدوا البسوا هدول تياب الدراويش، وانتو بتعرفو ومتل ما قلنا...

الدوران هو أساس الدرويش والمولوي... والدوران هو أصل الكون كلو... متل ما خلقو الله سبحانه وتعالى..

الجوقة : تعالى اسمه وسمى...

تعالى اسمه وسمى...

الكواكب كلها معلقة بالسما بقدرتو وكلن عم يدوروا حوالين حالن وحوالين الشمس وحوالين المجرة ومتل ما قال سبحانه وتعالى (وكل في فلك يسبحون)...

الجوقة : صدق الله العظيم
وصدق رسوله الكريم.

يعني انتو بدورانكم هاد اذا عرفتو تعملوه بتكونوا عم تتواصلوا مع الدوران الكلي للكون، مع سر الكون وايقاعه وسر الخليقة، ومع الحركة الكبرى للحياة والبشرية، ومع دورة الحياة والطبيعة والبشرية...وانتو كل ما تدوروا بتكونوا عم تتصهروا مع المجموعة ومع الجماعة لتفهموا معنى الجسد الواحد... وهون طلعت قدامي صورة صبح ابن أبو صبح... وخفت شوي !!!الأنو انا مابدي حدا يفهمني الحب أنا وصلت للحب لحالي وعرفت معنى التفاني وصرت ادعي لربي.. وكمل الشيخ: لازم تحسوا باللي حواليكم مشان تكونوا كتلة واحدة.. !!

فتحت أنا وعبدو تمامنا فهمانين ومو فهمانين، يعني حسينا أنو هي الفوتة... كتير بعيدة عن حارة الشيخ محي الدين وورق الخس وبياعين التهريب وكل هالأمور..

على كل الأحوال قلنا دوروا على مهلكم، وشوي شوي وقت تدوخوا وقفوا، بلشنا ندور، وندور، دخت وقعت على وشي وقمت وكملت ورجعت دور ودور ودور، وأنا عم اتطلع بطرف عيني على عبدو... يلي كان متل دويخة العيد عم يدور... متل البلبل عم يدور... وبعدين بخبطة وحدة على وشو فات بالباب، انكسر أنفو نزلو دم وزادت حلاوتو حلاوة.

أنا فرطت ضحك، قام قلنا الشيخ وقفوا... وأخدني على جنب وقلي كم كلمة بجنابي متل ضرب القشط، ورجعنا ندور وصار يوقف معنا كل يوم مساعد الشيخ، يلي هو الدرويش يلي بيوقف بالنص، ومرت الأيام ورجع الشيخ وصرنا ندور كلنا مع بعض فاردين هالتنانير الملونة، شي أحمر وبني وأخضر وشي أبيض متل التلج، يالطيف شو كانت تقيلة، وهالطربوش البني المطاول.. يا الله هالمنظر ما أحلاه منظر متل السما والكل عم يدور ولا أحلا، وأنا وعبدو عم نقع عالعالم ونخربط الحلقة كلا، وارجعنا ندور...

الجوقة : (تحمل الطبول والدفوف وتردد مع الايقاع)
الله الله الله الله
مدد مدد مدد مدد يا رسول الله مدد
مدد يا حبيب الله مدد

وندور وصوت الرق بإيقاع واحد عم يرن بإدني، صرت حس حالي عم طير لحالي متل المروحة، دور وطير بشكل عامودي دور وطير لفوق، شو كنت انبسط... وماكنت اندبج عالأرض إلا وقت اسمع صوت حدى عم يوجهنا أو يعطينا ملاحظات...

الجوقة : يا عابد خليك مع المجموعة... لا تدور لحالك، حس باللي حواليك... حس بالدراويش... شوف عبدو، والشيخ يقول دوروا كلكن مع بعض، شوف عبدو شو عم يعمل، شوف عبدو شلون اندمج مع البقية، ونرجع

ندور... وفكر أنا بحبيبة الشقرة، وهي حاطة رجليها بالبحرة...

هيك سميتها أنا... حبيبة.

(يرتفع المولى عابد في الهواء بثوبه الأبيض وهو يدور)

صرت اتخيل حالي عم علي بالسما ولف حوالين النجوم، والقمر، واتطلع على حبيبة من فوق وهي عم تعملي باي من البحرة، كنت حس أنو هالدورة حوالين حالي وهالدوخة يلي عم تصير معي أحلى شي بحياتي، وقدر ليش أهلي طار عقلن، ودور وعلي وحس كأنوا في ايد بيضة ممدودة الي من السما ،وصرت دور والدمع نازل من عيوني وانا عم ارتفع بالهوا لحالي: وقتها طرت فوق المدرسة وفوق الدراويش والكل كان تحتي وانا متل المروحة عم لف وعلي ،وارتفع... طرت فوق الحارة وفوق جامع الشيخ محي الدين، وعليت أكتر وقت شفتوا عم يضحكلي ويقلي: علّي... علّي ،وطرت فوق الشام والبسطا والفقرا ، وعليت فوق دعاوي الناس وأبي اللي ماسكها حنبلية، عليت فوق الصبر والآهات والظلم... حسيت حالي قربت من الفرح وقربت من البياض... ما بعرف ليش... وعليت أكتر وصار نورعليي، حسيت حالي نار ونور، والشام كلها تحتي والناس عم تقول لي: الله أكبر الله أكبر، رفعت راسي وخشعت ياربي بحبك بحبك شكراً على هالشوفة ،شكراً على كل شي..... حسيت ما فيني قول غير شغلة وحدة: أنا بحبك يا ربي...

قام ظهرلي الشيخ محدين وقال لي: ليش؟

قلت له: لأنو خلق حبيبة وخلقنا جميعاً على صورته في أجمل تكوين... يعني يا شيخي صرت حس حالي وقت أتذكر وجه حبيبة حس حالي عم انظر للنور... والنور يغشى عيوني والدمع ينزل من جفوني متل الولد اللي مشتاق لأمو... يا رب بحبك... دخيلك لا تحرمني وصالك... يا رب دخيلك عطيني لأعطي الناس محبة من صورتك الكريمة يا مجيب الدعوات يا الهي يا رحيم...

الجوقة وبنفس الوقت (أستغفر الله العظيم: أحب شيخك، أحب معلمك ،أحب الرسول الكريم)

وعلى صوت الشيخ اندبجت عالأرض واوقعت فوق الدراويش، قام لعندي الشيخ وقلي شوف انت وعبدو أجيتو سوا وعبدو صار سابقك بمراحل... شوف شلون عيونو معلقين بنقطة بالفراغ، وعم يدور مع البقية بانتظام، شوف فردة ايديه وتركيزه، قلتلو إذا بتسمحلي يا شيخي أنا عم حب دور لحالي يعني وقت حس حالي لحالي بسلطن، ووقتها بحس حالي معهن ياشيخي، أنا وعبدو كل واحد الو طريقتو...
صرخ علي وقلي: شو طريقتو ما طريقتو... هون في طريقتي أنا وفي طريقة مولانا الشيخ جلال الدين الرومي.
الله يرضى عليك قبل الحفلة قدام الشيوخ بتشرب قنينة عصير الليمون هي... الليمون بيساعد البصلة السيسيائية وما بتختل ولا بفقد توازنك، ركز وثبت رجليك وادعي لربك، يالله ارجع،

الجوقة : (تعود للدق على الرق وإنشاد الله الله الله الله)

ورجعت دور ودور ودور ودور واتذكر حبيبة واتفشكل، ما أحلى وشك يا حبيبة وأنت لابسة الحجاب أخ يا حبوبتي الله يهديك ويصلحك لو بتلبسي الحجاب... والمانطو ما أحلاك والشيخ يقلي شوف عبدو اتعلم من عبدو، عبدو بيسوى راسك.

الجوقة : (شوف عبدو اتعلم من عبدو، عبدو بيسوى راسك.
شوف عبدو اتعلم من عبدو، عبدو بيسوى راسك)

صرت اكرهو لعبدو... صرت احقد عليه وادعي عليه،

الجوقة : (الله لا يوفقك... يارب تقع..
الله لا يوفقك... يارب تقع..)

عبدو خرابي، عبدو دمرني وحبيبة حبيبتي... لك يخرب بيتو على نظرة هالعين يلي لألو، حجر عينو ثابت متل الصنم والعياذ بالله.

الجوقة : (والعياذ بالله
والعياذ بالله)

وأنا ما كنت اقدر ثبت نظري بشي قرنة كنت أول ما دور غمض عيوني واتذكر حبيبة وهي عم تشيل العشا وبعدين أنا وياها قاعدين وحاطين رجلينا بالمي بقلب البحرة وعم نطرطش بعض وهي تطرشني وأنا طرشها وعم نضحك..
وأنا عم اتذكرها وحوالي شيوخ الطرائق والأئمة وأصحاب الدين ومع إني شربان قنينة عصير الليمون

كلها، بس أنا كنت فوق... كنت بين النجوم وعم اتطلع على حبيبة تحت، عم تعملي باي، وفجأة حسيت حالي هويت بفرد مرة، من سقف السما على بلاط أرض المدرسة وعلى وشي...

الدراويش ضلو عم يدورو لأنو الطبيعة والحياة ما بتوقف مشان واحد عاطل، هيك قال الشيخ..

واتطلع الكل علّي، وقلعني الشيخ عبد القدوس... قلي روح صفي ذهنك ونقي روحك وارجاع لعندي وقتها، الله يصلحك.

ورجعت عالبيت... لابس تنورتي وقنبازي وعالطريق وعلى مفرق الحارة شفت حبيبة ماشية... قمت تيبست متل يلي الله داعي عليه ومتل الصنم...جمدت.

الجوقة : **(والعياذ بالله... الله يجيرنا... الله لا يوقعنا... اللهم لا تمتحنا.. اللهم بعد عنا الحرام..)**

اتطلعت فيها... واتطلعت فيني وبعربية مكسرة قالتلي: **كيفك يا مولانا؟** وقبل ما تسمع ردي مشيت.

(يصرخ): أنا مولانا.... ... أنا مولانا ولك أنا بدور لحالي، ولك أنا مولانا يا شيخ عبد القدوس أنا مولانا يا ناس، وأنا وقت دور بغمض عيوني وبحلم فيكي ياحبيبة... أنا عاشق... أنا ياربي... أنا بحبا، لك الله يرحم اللي قال:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق

ورجعت على البيت وفوراً على الأسطوح، اتطلعت على بيت الجيران كانت قاعدة وحاطة رجليها عالبحرة، وعم تحكي عالتلفون.

طار عقلي من الفرح... قلت أكيد عم تستناني وقلتلا... بصوت عالي: حبيبة يا حبيبة..... ما سمعتني..

الجوقة : (تردد معه) حبيبة ... يا حبيبة!!

قام اتطلعت حبيبة لفوق وبعصبية ردت عن رجليها وقالت: أنيمال... قليل أدب!! وفاتت لجوا....

(صمت)

ومتل الي نزلت عليه كل سطول المي الباردة يلي بالعالم... وصارت حرارتي فوق الألف وحسيت أنو النظام الكوني كلو والدراويش كلن انخبطو ببعضن، وبلشت دور ودور ودور (يبدأ الممثل بالدوران). مشان بس اتذكر لحظة حلوة... وانا عم قول: يا ربي...

كنت عم دور وعيوني مفتحة وحجر عيني ثابت متل الصنم كنت عم دور بدي طير بدي روح من هالدنيا، يارب (يرتفع صوت الرق والطبل وتبدأ الجوقة بترديد تعابير الذكر والميلوية)

الله الله يالله.... ... . مدد مدد مدد.... .....

ياربي ارحمني... يارب اغفرلي... ياربي خدني لعندك... أنا ما بشبه حدا... أنا... ما بدي كون قاورما..... قاورما لحمة بقلب بعضها... ياربي خليني أنا البصل... يارب أنا البني آدم أنا... أنا.

(ومع تصاعد صوت موسيقى الحضرة.... ... يستمر مولانا بالدوران حول نفسه بسرعة... بشكل دوران لادور له فيه.... دوران يجذبه ويقيده وكأنه ليس هو من يدور... بل قوة ما خارقة تجعله يدور)وهو يقول: ولك أنا... أنا...

الجوقة : (أعوذ بالله من كلمة أنا)

مولانا: لك هاد أنا أنا... أنا موجود أنا هون .

الجوقة : (أعوذ بالله من كلمة أنا أعوذ بالله من كلمة أنا..)

تزداد موسيقى الرق والطبول علواً ومع ازديادها يزداد صراخه

ولك هاد أنا أنا، أنا اسمي عابد، أنا أنا... بدي دور وأنا مغمض عيوني... مابدي فتحهن... وليش لفتحهن... ولك أنا أنا بدي طير وعلي...

الجوقة : (أعوذ بالله من كلمة أنا أعوذ بالله من كلمة أنا...)

مولانا: أنا عابد... أنا عابد... عابد وبس... عابد وبس... مالي عبدو مالي عبدو... أنا عابد لنفسي... أنا بحبو ومالي خجلان أن بحبك ومغرم فيك ودمعي لوصالك مهدور يا حبيبي يارسول الله، يا رب أنا عابد إلك يارب... أنا أنا

الجوقة : (أعوذ بالله من كلمة أنا أعوذ بالله من كلمة أنا..
تزداد موسيقى الطبول والدفوف توتراً)

الجوقة : (كلمة أنا... كلمة أنا... كلمة أنا).

مولانا: أنا أنا... انتو... انتو... أنا .

يستمر مولانا في الدوران والدوران حتى يتهالك على الأرض تعباً... متوسطاً تنورته جاثياً كالصنم، محنياً رأسه.

مولانا وهو مطرق الرأس: آخ يا شيخ محدين...

آخ يا شيخي...

آخ لو تعرف...

(تمت)

الفارس الذهبي

دمشق 4\9\2007

ت \05-01-2008

ليلى والذئب...

الفارس الذهبي

ليلى والذئب...

ملهاة مسرحية معاصرة ذات فصل واحد

الى كل أطفال العالم الذين لا ينامون أثناء
روي حكاية ما قبل النوم...
ليلى والذئب

عندما يتحول الرمز الى حكاية

تقديم: حكيم مزوقي

هكذا، ببساطة المتمكّنين، وبحسّه الطفولي المشاكس، وبلمسة من قلم ملعون، يجعل الفارس الذهبي من ليلى والذئب قصّة حبّ مدهشة.

عادة ما نروي ونذكر كل قصص الحب في التراث الإنساني بتقديم الذكر عن الأنثى: قيس وليلى، روميو جولييت، كريستيان وزويا، ممو وزين..... ماعدا هذه المرّة تتقدّم ليلى بالظهور على الخشبة وتمسك بأطراف خيوط الحكاية، لتنسجها على منوالها ومزاجها دون خوف شهرزاد وعقد شهريار.

ليلى والذئب مسرحية تنعتق من ثقافة الرعب والوصاية والتردّد، وتقتل الذئب في الذئب، وتحوّل لون الدم إلى كرز شهي الحياة وتعترف أنّ أطول الطرق هي أجملها وأن أقصر الطرق هي للعابرين بلا أثر.

يذهب الفارس الذهبي إلى فكرته بوضوح وسلاسة ومهارة في اللعب إلى أن يصفع المتحجّرين وأعداء الحياة بقفّاز من حرير.

ليلى والذئب مسرحيّة نحن في حاجة إليها منذ زمن سحيق، كي لا تتكلّم بنادق الماضي الصدئة وتغتال أصوات المحبّة والتطلّع إلى الشمس.

لعلّ أهم ما يميّز هذا العمل أنّه يتوجّه إلى كلّ الفئات والشرائح والأجناس والثقافات، فيحاورها دون استعلاء أو ابتذال، وهذه ميزة الأعمال الكبيرة والتي سنتمكن من قراءتها عبر عشرات التأويلات.

مقدمة لا بد منها

النص هو دعوة الى الحرية ، دعوة الى المغامرة والنزوح نحو الاكتشاف لكشف المجهول، حتى تكتمل التجربة الإنسانية الفردية، وخاصة لدى الفرد العربي الخاضع والخانع لثقل الموروث الاجتماعي والتاريخي والإنساني والثقافي العربي، الذي توقف عند الإتباع ولم ينتقل إلى الإبداع، والذي توقف عن التطور منذ آلاف السنين موقفاً معه تطور الفكر والتجربة وهذا مما جعل تجربة العقل الغربي تسبقنا بمراحل.

إن الخروج عن المألوف وكسر العرف والتقاليد، هي بدع في مجتمعاتنا وينظر عادة للمتمرد أو المتمردة نظرة سلبية من عموم المجتمع بغض النظر عن موقف المجتمع الضمني من الفعل الذي اتخذه الفرد، وهو غالباً ما يكون فعلاً مشتهى من قبل المجتمع ككل .

فمثلاً إن اضطهاد شريحة من المجتمع السوري لأبي خليل القباني، واعتبار ما فعله من مسرح هو بدعة، يأتي من ضمن هذا السياق الذي تحدثت عنه علماً أن أغلب الحضور الذي واكب عروض القباني كان ينظر لما يفعله نظرة اشتهاء ورغبة في التقليد ،ولكن النزعة التدميرية لكل ماهو ناشز عن المجتمع أو خارج السرب أو صاحب الريادة في كسر الرتابة

الاجتماعية، والإتيان بما هو ترفيهي حصراً أي بما يشكل دعوة للحرية والانعتاق من المؤسسة... هي ناتجة عن الغيرة وليس الحسد (فالغيرة هي محاولة للتشبه أما الحسد فهو ذو شكل تدميري للآخر) ومحاولة التشبه، وعند العجز... يكون الحل هو قصم ظهر التجربة، والتخلي والتضحية بالنعجة الضالة ليستمر القطيع في نهجه الهادئ.

إن المجتمعات السكونية أي التي لا حراك اجتماعي أو سياسي أو إقتصادي واضح فيها، تكون عادة أقسى على أفرادها الناشزين من أفرادها المسيئين، فالمسيء يعاقب لفترة ومن ثم يعاد تأهيله ،أما الناشز فتبقى التهمة ملتصقة به لأجيال، ولذلك فهي تعاقب المرأة المتحررة في مظهرها أو في سلوكياتها مثلاً، عقوبات اجتماعية قاسية تأخذ عادة شكل النبذ أو الإقصاء أو الضغط على العائلة اجتماعيا، وأنا هنا لا أبرر للانحلال الخلقي، بل أدافع عن الحريات العامة والخاصة على حد سواء.

2

عادة ما تكون النعجة الضالة... هي التي يأكلها الذئب بشكل أسهل وأسرع، ولكنها تتمتع بفردانيتها كحيوان، تتمتع بمناظر الوديان والسهول بشكل أفضل ولو لحين.

بعيدا عن ضوضاء القطيع ومزمار الراعي وعصاه ،ودونما شعور بالتنظيم القطيعي فالنعجة هي حيوان في النهاية وللحيوانات طرق وأساليب للدفاع عن نفسها، ولكن الإرادة الإنسانية دجنت هذه الأساليب وصادرت القرار الفردي لها مقدمة لها الحل بحماية أفضل، من

الذئب... لأن الإنسان هو من سيأكل النعجة في النهاية... فالصراع في المحصلة هو صراع مصالح وليس عطف وتفضل من الراعي...

في النهاية تبقى الحرية مفهوم نسبي متنازع على حسمه، ويبقى الخيار الإنساني موجوداً لدى الفرد في رأسه ولكن كل ما هو مطلوب منا أن نحرر هذا العقل ليقف الإنسان أمام خياره الوجودي وحيداً دونما إرشاد أو دليل.

في هذا النص استندت على الحكاية الشعبية المعروفة عالمياً ليلى والذئب والتي رويت لكل أطفال العالم تقريباً مكرسة مقولاتها المبطنة في طاعة الأهل والخوف من الخيار الفردي وإتباع المجرب.

لكنني قمت بعد التفكير بإعادة كتابة القصة من وجهة نظر محلية مستنداً على المفاصل الرئيسية في الحكاية ولكن بعد أن أزحت المفاهيم والمقولات عن مرتكزاتها لتتشكل مفاهيم جديدة لاأجزم بصوابها، ولكنني أجزم بضرورة تجريبها فإن فشلت أسقطت.

إن العمل هو ملهاة بسيطة لذا فإن الأداء يجب أن يكون أقرب الى الهدوء والى الروي الهادئ، كمن يقرأ قصة لطفل قبل أن ينام، والطفل هنا هو للجمهور ولكي لا ينام ينبغي لكسر الإيهام أن يفعل فعله.

للمخرج الحق الأكيد في تحديد خياره الفني فهو صاحب القراءة الأخيرة للنص والتي ستتجسد على الخشبة... المستويات في اللغة ضرورية للتدرج في الإيهام القصصي، من الحكاية الى الرواية الشخصية المعتمدة على تفاعل الجمهور أو الطرف الآخر مع الحدث المروي.. فالمستمع أو المشاهد يقترب من الشخصيات المتحدثة بالعامية حينما تتحدث عن نفسها في حالات البوح والتعري وتستمتع بإيهام القصة وكأن الحدث هو جلسة نميمة وتلصص، و لكسر الإيهام هنا دوراً محورياً في جعل المشاهد

يقارن القصة الأصلية مع القصة المروية ليستنتج التغير ومنه القصد من تبديل المفاهيم.

الفارس الذهبي

دمشق

المكـان قسـمين؛ في الأيمـن طاولـة وكرسـي وصـورة لامرأة جميلة ومغرية، وفي الأيسر سرير بشكل عرضي وفوقه لوحة لرجل وسيم.

يفصل بين المكانين باب مفتوح.

تدخل ليلى إلى القسم الأيمن من الخشبة... تتمشى قليلاً في المكان ثم تشعل سيجارة وتبدأ التدخين.

في هذه الأثناء نسمع موالاً للرحابنة بصوت جبلي وقاس:

(عيني ما تدوق النوم يا ديب
حاكمها قلق ونعاس يا ديب
غدي تسرح مع التيان يا ديب
وتفعل ما تريد وتشتهيه)
(مع انتهاء الموال....)

ليلى : أهلاً وسهلاً بكم..

لا أعرف كيف أبدأ... كونكم لستم بأطفال، لكنني لن أدعكم تتخيلون كثيراً الحكاية وسأقص عليكم قصتي... قصتي مع الذئب أو قصة الذئب معي، أو قصة ليلى والذئب، ليلى التي كنت أنا... سأقصها تماماً كما هي، كما حصلت معي دون تزييف أو تعديل وهي كما تعلمون (تقترب من المنصة أكثر مخاطبة الجمهور بقرب أكثر مع ابتسامة خبث) قصة حقيقية!

سأرويها لكم كأصدقاء كبار... كبالغين، كي تروها بدوركم وبطريقتكم إلى أطفالكم، لكنني عندما أرويها لكم لا أريدكم أن تناموا مطلقاً، لا أريدكم أن تسترخوا... فأنا لا أرويها لكم قبل النوم، أريدكم أن تفكروا... أن تقلقوا..

على كل الأحوال هذا ليس مهماً..

لذا سأدعكم مع خيالكم قليلاً... كالأطفال... لكن القصة ليست للأطفال، فقصة الأطفال سخيفة وهي بعيدة عن قصتي... أريد خيالاً جديداً.

(تأخذ نفساً عميقاً من السيجارة... تنظر للجمهور)

سأروي لكم قصتي معه... وأنتم تعلمون من هو، وتعلمون أني كنت صغيرة وهو كبير... حتماً... في مامضى وانقضى.

تقريباً كنت في السابعة عشرة من العمر، وكان يا ماكان... ليس هنالك من الفتيات الصغيرات من اللواتي عبرن هذا العمر لم يحدث معهن حدث يتذكرنه طوال حياتهن! أو بالأحرى ما يحصل مع الفتيات في هذا العمر لا يمكن لهن نسيانه طوال حياتهن...

(تنفث نفخة دخان... وتتابع):

ففي هذا العمر لا بد للفتاة وفي صيف هذا العمر بالتحديد، من أن تتغير حياتها تماماً... وإن لم... فما سيحصل معها سيظل محفوراً في قلبها الى الأبد...

بدأت القصة معي حينما كنت أنظف الحمام...

وأنا أكره كثيراً تنظيف الحمامات بالذات، لأني سأضطر لاستخدام الماء الساخن الذي يزعج كثيراً، حسب ما تقول جدتي: الجن والعفاريت، سينسلخ جلدهم وهم مستقرون في البلاليع، من شدة الماء الساخن وسينتقمون من الفاعل حتماً.

انحنيت فوق البالوعة لأنزع غطاءها وأنا أبسمل وأتعوذ اتقاءً للجن فوقع!

وقع خاتمي مني... من يدي، انزلق بفعل الماء والصابون على يدي...

واندلق الماء الساخن حول المكان

سقط خاتمي الذهبي في ماء المرحاض.. !

يا الهي كم أكره المرحاض.. ! رأيته:

كان واضحاً لي بشدة... يلمع... انه في الأسفل...

كان المكان نظيفاً...

وكنت أعلم أن الماء نظيف لكنني لم أستطع أن أمد يدي وأنتشله من تحت...

كنت خائفة... كان الماء مضطرباً، وعلى سطحه صور تتماوج... خفت... دمعت.

(يدق الباب... تنهض ليلى بهدوء وتفتح الباب، فيدخل رجل يلبس بذلة أنيقة... لكن رأسه هو رأس ذئب، يدخل ثم يجلس على الكرسي في عمق الصالة...)

(ليلى تستل سيجارة من جيب الذئب العلوي ثم تكلمه):

قبل أن تبدأ القصة... لا بد لكم من أن تعلموا ماذا قال أهل أول لي.

(الذئب معلقاً على طريقة حديثها): ليش هيك عم تحكي؟

(ليلى متابعة)... وكما تعلمون أيضاً أهل أول ما تركوا شي إلا وقالوه... وبتعرفوا كمان

(ليلى للذئب وبعد أن تخلت عن اللغة الفصحى): هيك أحسن ما!!

أهل الآخر نحنا... كل شي بنسمعوا من أهل أول... بنسمعوا بس (الذئب يهز رأسه برضا عن استخدام اللغة العامية) وما بنفهموا لحتى نجربوا... ايه هي حال الدنيا... (تلتفت إلى الذئب)

أمي قالتلي بزمانها وما بعرف ليش... قالتلي وقت كنت صغيرة وبيتنا كان كبير ومعبا بالخيرات والشجر والورد... قالتلي: يا بنتي أهم شي النضافة... اعملي كل شي... كلي كلشي... كلشي!! البسي كلشي! اشربي كلشي.. ! كلشي بدك ياه بس شرط يكون نظيف! ولا تاكلي شي من السوق!... أبداً... أبداً...!

اغسلي ايديك ووشك... وديري بالك من شغلتين: الكرز والرمان... وصارت تبتسم... يخرب بيتهن هالأكلتين شو

بيدبغوا... لا تنقطي كرز على حالك لأنو دم الكرز مابيروح والأواعى بتتدبغ مرة بالعمر، وخلصنا ماعاد فيه رقع أو قص أو أي شي خلص... بيضل اللون معلق على الأواعي البيض... بيدبغها دبغ وما بيروح بالغسيل...

وأنا بالفعل، من يومها بطلت آكل كرز بالمرة... كنت بحب اللون الأبيض، القطن الأبيض، كل شي أبيض، كنزاتي وبلوزاتي كلها بيضا ما دبغت بحياتها... خفت من الكرز يلوتها (الذئب يهز برأسه ساخراً) وهداك يوم وهادا يوم...

❖❖❖

(تتقدم ليلى من أول الخشبة وتسحب كرسي، ثم تجلس عليه وتتابع):

حاولت تلات مرات أني مد ايدي عالخاتم... بس قرفت من المرحاض...

يا الله بس هادا خاتم خطبتي وستي نقتلي ياه...

حاولت... بس في شي! مدري شو هوه؟ منعني وخلاني وقف أتفرج عليه وهوه بالمي...!

طلعت على جنينة البيت، شم هوا وفكر... بركي بيصفى ذهني وبعرف كيف بدي لاقي حل لها المشكلة... بس وقت رجعت عالحمام، تفاجأت بجدي طالع من الحمام وكان صوت مية السيفون متل الشلال بأدنيي...

انصعقت... انصدمت... كنت رح ابكي من فكرة أنو الخاتم راح مع الل.... ... !!

بس الحقيقة كانت أنه.. : جدي عملها على خطبتي...!
بس أنا ما حاكيتو ولا كلمة، حتى أنو هوه تفاجأ لردة فعلي وقت شافني... فكرني تضايقت من أنو فات على التواليت مباشرة بعد ما نضفتوا؟
(صمت)
قعدت بالجنينة... موسيقى غريبة جداً.
سكرت أدنيي بادنيي... رجعت جناحات أدنيي لأدام، وسكرت مجرى السمع من الغضب... (تغلق أذنيها).
(صمت) سمعت دقات قلبي (نسمع صوت دقات قلب).
سمعتهن... دقات قلبي... وحسيت، شي سميك أسود عم يتدفق جواتي...
(صمت)
بس هادا مو مهم... (تعود لحالتها الطبيعية)
هادا مو مهم... أو مو الأهم..... اللي صار بعدين هوه المهم، بهداك اليوم
اعتبرت اللي صار هوه علامة... إشارة إلهية بأنو أفسخ خطبتي... وفسختها... خصوصاً بأني بآمن بجدي واحساسو..
على العموم... أنا ما كنت حابة خطيبي وقت قررت أخطبه... وللصدق حتى بعد الخطبة، وقت كنت شوفه... قلبي بصراحة ما كان يدق من الفرح... كان يدق من الخوف والترقب... كنت قول: لك معقول أنا أربط حياتي مع شخص مجهول ما بعرفه، لك حتى ما تعرفت عليه... عرفتني عليه أمي..

قالت لي: لك هوه وسيم... لأ لأ جميل!
لك هوه غني... لأ لأ ثري!
لك هوه جامعي... لأ لأ مثقف!
لك هوه ذكي..... لأ لأ عبقري!
لك هوه يسر.... لأ لأ مطيع... تخيلي يا ماما!!
كل الصفات الحلوه فيه من الألف إلى الياء.
(تخاطب الذئب): بس أنا مع كل هالشي وافقت... بس ما حبيته... كان بدي رجال وحش... يصرّخ عليي وقت كون مالة ونكدة... مو يركع تحت رجليي ويراضيني... يحبني وقت ما كون طايقتوا! مو يقلي ok حبيبتي.
على كل الأحوال (تخاطب الجمهور) طق عرق الجنان بالعيلة... أمي... أبي... أخواتي... ستي... الكل حتى جدي اللي كان الو الفضل بتركي لخطيبي... زعل..
تخانقت معهن كلهن... وتعايطنا... وطلعت من البيت لأتمشى شوي، لبست الجاكيت الجوخ الأحمر تبعي... ما بعرف ليش هيك صار... يمكن صدفة... يمكن لأنو هدية من ستي، ومشيت بالشوارع... حتى وصلت عالجنينة...
(يتقدم الذئب من أول الخشبة)

الذئب : كانت السما رمادية... من كتر الغيوم... حتى أنك ما قدرتي حتى تستمتعي بالشمس.
كان بدك تشعلي سيجارة بس ما قدرتي، خفتي من نظرات الناس... كنتي وحيدة... والكل كان عم يتطلع عليكي..

ليلى : فستاني الأحمر كان النشاز الوحيد بهديك اللوحة... يا إلهي قديش كان هداك النهار حلو... (تستدرك) طيب رح كمل...

فجأة شفت شب مشي من قدامي وعم يتطلع عليي.

الذئب : كنت شايفتيني وأنا فايت من باب الجنينة...

ليلى : لفتت نظري أنت وقتها شوي... بس صدقوني أبداً ما اهتميت... أبداً...

تهيألي أنو بشع... لأ... مسكين... عادي كتير... نحيف كتير ومعضم ووشو عريض وألو دقن خفيفة...

الذئب : كنت لابس قميص رمادي وبنطلون رمادي أنيق كتير..

ليلى : (تهز رأسها) أيه... بعتقد أنه يومها كانت أناقتك شوي جذابة.

مشي من جنبي مرة تانية...

الذئب : درتي وشك..

ليلى : مريت من قدامي مرة تالتة ورابعة وخامسة... بعدين استندت على شجرة قريبة من كرسيي.

الذئب : درتي ضهرك كلياً عني.

ليلى : حسيتك غليظ... سمج... متطفل... بينما كانت النسوان والولاد والرجال عم يتسلوا ويتغدوا ويطعموا بقايا أكلهم للبطات والكل بهدوء كل واحد بشغله... إلا ولد صغير كان عم يبكي كتير وما بعرف ليش، بدون ما يسكت.

الذئب : كنت أنا الوحيد، اللي بدي أتطفل على الشخص الوحيد بها العالم... اللي بهداك الوقت، ما بدو حدا يتطفل عليه..

ليلى : فجأة حسيت برشقات مي على رقبتي وشعري، بالبداية فكرت السما عم بتشتي... لأنه الغيوم كانت كتيرة !؟ تطلعت عالأرض، كانت ناشفة ولساتها رمادية وأبداً ما تنقطت بالأسود.

(أثناء كلامها يحمل الذئب بخاخ ماء ويرشها ويبتسم).

ليلى : رجعت نقط المي من جديد على رقبتي وشعري مرة تانية. التفت بسرعة لورا، فشفتك حبيبي واقف ورايي... كان شكلك كتير غبي وأحمق!!(تبتسم له فيبتسم لها).

(بغضب شديد) كان عم بيرشني بالمي... يا الله وجن جناني... وتلبست أمي وصرت متلها تماماً.

(تلتفت نحوه، وبصوت عال توبخه)

العمى شو وقح... العمى شو غبي... عديم المسؤولية... شو مفكر حالك عم بتساوي عم تتهضمن يعني، العمى شو غليظ وبلا مربى (تخرج من الدور وتبتسم له).

(الذئب يبتسم)

ليلى : كنت فعلاً... (تتردد في قولها) غليظ...!

الذئب : آسف... صدقيني... آسف... اعذريني..

شفتك قاعدة لحالك... قاعدة ومالة... عم تفكري وتفكري وتفكري بشي يمكن عم يزعجك... فحبيت شوي أني خلي الأمور رومانسية...

لأنو إذا ما مطرَت... فأنا بخليها تمطر عليكي وألك بس... مطر خصوصي إلك... خصوصي لحبيبتي.

(ليلى تهمس للجمهور) وقت قالها... حسيت بكركرة صغيرة، بأعلى راس بطني... وحسيت بشوية طمأنينة.

الذئب : بس إذا مو جاي عبالك... بروح... طيب... رح روح.

ليلى : شو ما عندك أخوات أنت، العمى ليش هيك عم تعمل مع بنات الناس... (للجمهور) وضليت ساكتة مترددة... عم شوفه وهوه رايح وعم بيبعد.

(تسمع من بعيد أصوات أبواق سيارات وأهازيج عرس شعبي من العراضة الى الزغاريد والدبكة)

(الذئب يهدأ قليلاً ثم وفي حالة بوح).

الذئب : رحت ومشيت بس وأنا ماشي تذكرت قصة أختي الكبيرة وقت تزوجت فتحي، وأختي أكبر مني بشي سبعة عشر سنة، يعني هية هلق عندها ولاد وأحفاد حتى... لما تزوجت هي، أنا كان عمري شي سبع سنين تقريباً، وكان البيت كله يوم العرس قايم قاعد، وما في حدا عم يسمع لحدا، الكل مشغول، شي بالفستان وشي بالأكل وبالسيارات... والخ

وكنت أنا متل الحشرة هداك اليوم، ما كان في حدا منتكش فيني، وأنا اللي كنت الصبي الوحيد على خمس بنات والمدلل يعني آخر العنقود والسكر المعقود، حسيت في شي غلط في شي مو صح، كنت رح أبكي قالتلي أمي هاد صحن الفواكه بينحط قدام العرسان على الطاولة وكلوا كرز وخوخ والذي منه، بس قالتلي أوعك تاكل منو وتدبغ حالك لأنو بدي أخلص بواحد بس اليوم، كيف اتنين، أكيد أختك راح تدبغ كل أواعيها وفستانها الأبيض وقت ترقص هيه وعريسها الله يخليك دير بالك... ودارت وشها وطلعت وقفت على درج

السطح، وعيونها عم تدمع وبلشت تبكي... أنا يا لطيف حسيت في شي كتير كبير اليوم بده يصير، وقلبي كان حاسسني، رحت لأتأكد وأخد الخبر اليقين من بابا، فتت لعنده قام دار وجهه فوراً وقللي الله يخليك يا أبي روح من هون، وحسيت كمان في دمعة بعينه... أنا جنيت وطار عقلي ركضت لعنده ودرتله وجهه، قلت له: بابا شبك، قام ضمني وقللي: يا دياب، لك هي أختك هي... هي بكريتي ما بقدر... ما بقدر!!!!

حملت حالي ونترت من بين أيديه وطلعت على الحارة، وأنا عم ببكي حسيت أختي رح يصرلها شي مع هاد فتحي الكلب..

وأنا قاعد، اجوا لعندي أولاد الحارة الصغار... وكانوا زعران من الطفولة يعني، قرب مني جادو وقللي شو يا وعل... كيف أعصابك اليوم...

قلتله ليش، قال وبلهجة فيها كتير حس المؤامرة: يعني اليوم أختك رايحة من عندكم لعند فتحي... وفتحي كان بالحمام اليوم وحلق شعره وكوى تيابه وقصقص أضافيره، يعني هوه جاهز...

قام أنا وقفت وصرخت بصوت عالي: ليش! قام قال: يعني! جاهز لياكل اليوم!!!

وهرب وما عاد بين، وأنا انهرت على ركبي، وعيوني كلها دمع، وصرت من بعيد اتفرج على العرس، أمي واقفة عم تبكي وأبي دايز وجهه وهنن عم يودعوا أختي... قام مسحت دموعي، وقررت انو أنا تاني يوم رح روح وشقله بطنه لفتحي وطلع أختي من كرشه البشع..

(يصمت الذئب قليلاً ثم تقترب ليلى منه وتضمه بحنان)

ليلى : وتاني يوم أكلت أتلة مرتبة من أبوك لحد ما فهمت القصة..

(ينظران الى بعضهما البعض، ثم تتجه ليلى نحو الجمهور وتتابع)

❖❖❖

ليلى : وقت راح العرس وراح هوه حسيت بالملل أكتر، ما في حدا حاكيه، يا ريته ما حاكاني... ما فيني دخن ولا أعمل شي... فتحت شنتايتي، طلعت كيس الأكل اللي أعطتني إياه ماما الصبح لآخده لستي، بس المعركة الصباحية... خلتني أنساه، تطلعت عليه، فوراً حسيت بالجوع، أخدت سندويشة، وبلشت آكل...

الذئب : بعدين قعدت تفكري وتفكري وتفكري... بكل اللي عملتيه يومها... حتى نمتي.

ليلى : إيه نمت... بس ما بظن أني نمت كتير... بس اللي بتذكره أني فقت وشفتك قاعد جنبي على نفس الكرسي...

(تنظر للذئب) يعليك شو كنت وقح (تبتسم له).

ليلى : وكان قاعد عم يخلص أكل ستي، بكل نهم وجشع ولؤم.

(يجلس الذئب على الكنبة بجوارها... يضع يده خلف ظهرها بحركة تودد بينما هي تبتسم له)

ليلى : صرخت عليه... قلت له: (تخاطب الذئب): كيف بتتجرأ يا سيد... أنك تقعد على مقعدي... وبكل صلافة

ووقاحة، أنك تمد ايدك على كيسي... كيس الأكل تبع ستي وتاكل منه، وأنا نايمة... وقمت وطلعت من الجنينة.

الذئب : إيه صحيح... ووقت كنتي عم تقومي... قلتلك بصراحة قديش جاكيتك الأحمر القصير لابقلك..

(ليلى تبتسم له) ايه بس أنا طلعت معصبة كتير...

❖❖❖

ليلى : بعد يومين أو تلاتة وكانت حالتي النفسية هي هي، ما تغيرت... قررت أنو اطلع لبره وروح أتمشى مرة تانية... كان الشتي ذاته... والغيوم متل ما هيه واقفه بمكانها... وأنتوا بتعرفوا... الرمادي كلوا بيشبه بعضه، وأنا ملولة... كان بدي إلبس الجاكيت الأسود تبعي اللي اشتريته قبل يومين أو تلاتة لأنو أنا ما برتاح بهيك حالات... يعني حالات الوحدة والعصبية الكبيرة، والإحساس بالفراغ... إلا بالتعويض... التجميل...أو التسوق... إذا بدكن.

مشان حس حالي جديدة... وما مرق عليي الزمن... ففتحت الخزانة (تتجه نحو الخزانة تفتحها تمسك المعطف الأسود)

الذئب : (بهدوء) بس الجاكيت الأحمر بيلبقلك أكتر أنا بحبه...

ليلى : (تنظر إلى الجمهور) وأنا كنت معصبة كتير وقررت ألبس الجاكيت الأحمر

ووقت طلعت من البيت، عرفت أمي أني رايحة لأتمشى... فعطتني كيس الغدا وطبعاً طبعاً معه كتير نصايح...

وشوية لوم لحظها النحس معي، ولوجودي على قيد الحياة... ورحت أتمشى، اشتريت خاتم ماشي حاله لأيدي وخلخال حلو لرجلي، ولحالي... والله وكيلكن لحالها رجليي أخدتني على نفس الجنينة، ورحت قعدت على نفس الكرسي.

(الذئب يخرج بخاخ الماء ويرشها)

الذئب : يومها رشيتك بالمي بس من باب المداعبة.

ليلى : إيه حبيبي (يجلس بقربها).

(يدخلان بالدور)

ليلى : (بحزم) نعم شو بدك، شو بتريد... يا الله..

الذئب : ولا شي... عن جد ولا شي... بس شوي اشتقتلك.

ليلى : اشتقتللي!... أنا بعرفك شي!؟ أنت بتعرفني شي؟! لك العمى منين جايب هالجرأة والوقاحة... (تنتحي بوجهها وتهمس): بس بتعجبني.. !

الذئب : ولو...أنا اسمي دياب... أنتي ما بتعرفيني أبداً... بس أنا بعرفك... منيح حتى أني جايبلك هدية من يومين..... بس أنتي ما أجيتي...!

ليلى : هدية..... ليش؟

الذئب : مو لشي... هيك تفضلي... خاتم... على قياس إصبعك.

(تبدو ليلى مصدومة)

ليلى : (تخرج من الدور) بتعرف أني أخدت الخاتم بس لأني كنت مصعوقة للصدفة الفظيعة... ووو كيف قدرت تقرا أفكاري؟!

الذئب : وعجبك وقتها؟!

ليلى : كتير... بس رجعتلك ياه.. ! كنت خجلانة.

الذئب : طيب متل ما بدك!

(ليلى تطرق برأسها).

الذئب : حاسس أنك ما عم تقدري تتحركي من كتر المشاكل اللي حاملتيها... واللي ما عم تعالجيها وبس عم تهربي منها.

لا تخافي مني اعتبريني حدا بتعرفيه من زمان وخلينا نحكي... يمكن ترتاحي، وإذا ما ارتحتي فما في مشكلة... لأنك بتكوني حكيتي مع شخص يمكن ما تشوفيه مرة تانية.

ليلى : (تنظر إليه بتمعن) ليش بتضل حامل بخّاخ مي دائماً معك...؟

الذئب : أنا بشتغل بمحل الورد... هداك... تخيلي أنا بكل هالحجم وهالشكل، بشتغل بمحل ورد...

(يرشها بالماء، فتضحك)

الذئب : وبتعرفي نحنا بمحل الورد ليش بنرش الورد بالمي...؟

ليلى : ليش؟

الذئب : مشان ينتعش ويزهزه ويرجع نضر وتفوح ريحته الحلوة

(ليلى تبتسم للمجاملة وقد فهمت ما يقصد..)

(الذئب مخاطباً الجمهور): وضلينا عم نحكي مع بعضنا البعض شي ساعتين وبعدين حكينا كل شي عن حياتك..

ليلى : بتعرف أني حبيتك هداك اليوم... حسيت حالي بعرفك... من زمان.

الذئب : شو اللي عجبك فيني بالتحديد...؟

ليلى : ما بعرف... أول شي أناقتك... وبعدين حكيك... ثقتك بحالك... هدوءك، اتزانك... كنت عم تقرب مني وتشدني لعندك... وكأنك بتعرف أني رح أنشدلك (تضع يديها على وجهها): كنت بتجنن.

قبل ما أتعرف عليك ما كنت عرفانة أني رح أنشد... لواحد متلك... كنت مفكرة أنه فتى أحلامي... غير شي تماماً... ناعم حلو... (ينظران إلى بعضهما البعض بحب ثم يتوجهان إلى الجمهور)

ما كنت مفكرة أبداً أنه أنا أعجب بوجه متل وجهك... تقاطيع وجهك كتير قاسية... وتمك... هيك معبى.

الذئب : كبير... مشان بوسك.

ليلى : عيونك كبيرة... وحواجبك كثيفة..

الذئب : واسعين مشان شوفك منيح وأتفحصك.

ليلى : أما أنفك... صخري.

الذئب : منحوت كبير... لشم ريحتك.

ليلى : حتى راسك... ضخم وشعرك طويل.

الذئب : غجري بري مشان تحضنيه بأيديك.

ليلى : ومنلك هالجسم النحيل... متل الرمح.

الذئب : من الطبيعة... ومن البراري... بعيد عن المدن والحارات والبيوت والقوانين، ولدت وكبرت بالغابة، لحالي بدون ما حدا يهتم فيني، متل الوحوش... اعتنيت بحالي وربيت حالي، أبي وأمي ماتو واخواتي تركوني مع شوية مصاري... ودارت في الأيام.

حتى وصلتلك، وكنت عرفان أنو رح أوصّلك... يتيم عشت ويتيم كبرت... (يقف ويشدها نحوه ويخاطبها) وكل ما حدا يحطني بمدرسة، يخافوا مني الآنسات والولاد... ولد صغير... طالعلو سنان، وأنيابوا كتير كبار... يخافوا ويضربوني، ومن مدرسة لمدرسة، صار اسمي دياب، وفي عالم بيقولولي ديبو، وعالم ديب... وعلى كتر الضرب وأنا زغير دجنوني، وصرت ديب بيشتغل بمحل ورد.

ليلى : بس خلص بس! (تضمه إلى صدرها بحنان) (صمت ثم تتابع) وبقينا نحكي ونحكي ونتمشى، مشينا يومها لساعات تحت الغيم... السما ما شتت يومها، وشربنا الشاي بالقهاوى، وقعدنا على الأرصفة... اشتريتلي ورد أبيض بجنن... يا الله أسرتني يومها..

كل العالم بيقولوا خسى الديب... لأنهن ما بيعرفوا الديب منيح... يمكن أنا عرفتوا... يا ترى حدا منكن شي مرة راح لعند الديب وطلب منو طلب... أنا رحت... ولباني...! حسيت بالحب وقلبي لأول مرة بحياتي دق...

الذئب : خليتي أضافيري تروح، بس بنفس الوقت حسيت حالي جوعان... جوعان كتير...!

ليلى : يومها أنا تبدلت... انقلبت... حسيت حالي كبرت، حسيت بأنوثتي... كان يوم تاريخي بحياتي... تبدلت حياتي... نظرتي للأمور وللعالم اللي حواليي، صرت حس العالم كلوا كلوا تبدل... العالم أحلى والناس أطيب... غفرت لكل الناس، وسامحت كل اللي عامل

معي شي، مخي ما كان هون كان بمكان تاني مع حبي الأولاني!

(تنظر إليه) تبدل بفضل حبك.. !

(من سقف المسرح ينزل فوقها آلاف الزهور الحمراء أثناء حديثها التي تغطيها بسعادة تامة وشعور بالفرح... بينما الذئب يراقبها بهدوء).

❖❖❖

ليلى : ومرة من المرات بعتتني أمي... بمهمة خاصة... قالتلي خدي هالكرزات لعند ستك... بتعرفيها كبيرة بالعمر وضرسها ماكن ونفسها خضرة وبتحب مربى الكرز كتير... بس أوعك يا أمي تاكلي منهن هدول مستويين كتير وما بدي ياكي تدبغي تيابك بدمهن.

لا تطلعي بالباص، خدي مصاري وروحي بالتاكسي... أسرع... أنت كبرت وصار بينخاف عليكي، بعدين ما بدي العالم يدفشّوكي أو شي حدا غليظ يوقعلك الكرزات وتلوتي تيابك.

والله قلتلها حاضر... وبتعرفوا كلام الأمهات دايماً لازم ينكسر... والأم حكيمة لأنها من أهل أول، والبنت شقية لأنها من أهل آخر! وعم تكتشف.

المهم حملت الكرزات ومريت لعند دياب على محل الورد شوفه...

الذئب : طلعنا وتمشينا... نزلنا على وسط البلد اشترينا لبعض خواتم نحاس من على البسطة... مشينا ومشينا... فتنا

عالسينما لنشوف فيلم لعبد الحليم حافظ وكلمة مني وكرزة منها وكرزة مني وكلمة منها... خلصنا الكرزات كلهن ولوتنا أواعينا واندبغت شفافنا... وأصابيعنا بدم الكرز اللي ما عاد يروح وصار لون شفايفك أحمر متل النسوان وقت يحطوا حمرة ومكياج... وما كان يخلص الحكي... طلعنا عالشارع .

كلمة مني وكرزة منها وكرزة مني وكلمة منها...

(يفتحان علب مربى الكرز ويبدآن بتناوله باليد ، ورويداً رويداً تزداد طريقة أكل المربى لتصبح أكثر لعبية ، فيبدآن برشق بعضهما البعض بالمربى، وتزداد ضحكاتهما ويزداد اللعب في مشهد إيقاعي ولعبي جذاب بصرياً ، حتى يلوثان ثيابهما بالكامل باللون الأحمر ومع انتهاء اللعب بالمربى يكتشفان أن لونهما قد أصبح أحمراً بالكامل)

ليلى : وصلنا لعند ستي... ما معناشي... تعبانين من المشي... بطنك عم يوجعك من كتر الكرز... وكنزتك مدبغة بالنبيدي الغامق. وأنا سناني صار لونهن أحمر متل الدم (يضحكان)

ليلى : يومها كتير حبيتك كان حديثك حلو... وكتير رومنسي... فعلاً الحجر اللي ما بعجبك بيفجك.

الذئب : فعلاً أهل أول ما تركوا شي ما قالوه (يضحك).

ليلى : وأمي أهل أول... وأنا ما سمعت شو قالتلي... وما عاد عرفت شو بدي أعمل..

(تخاطب الجمهور) لوتت حالي بدم الكرز... شو بدي قول هلق لستي... ل التيتة...

الذئب : يومها بكيتي كتير... كنت خايفة وعيطتي عليي، كأني أنا بس اللي أكلت الكرز وهربنا.

ليلى : كنت خايفة منك... خفت أنك تتركني... أو أنك ترمي الخاتم اللي عطيتك ياه أو أني وقّع الخاتم اللي عطيتني ياه وضيعوا... تذكرت قصة التواليت والخاتم... وصرت أحلم وأنا فايقة، شفت خاتمك مرمي بالمي النضيفة وأنا ما عم بقدر جيبو.

الذئب : قديش أنت ساذجة .!

(تنتقل ليلى إلى الطرف الآخر من المسرح بينما يراقبها).

ليلى : رجعت عالبيت بهداك اليوم... وكانت أمي عم تغلي المعود ومشغولة... أما أبي فكان عم يتسلى وينضف بارودته تبع الجيش القديمة... أخذت أمي على جنب وقلتلها كل شي، قلت لها أني بحبك وأني بعد اليوم مالي قدرانة عيش بدونك فقالت لي: وهوه بيحبك؟ بدو يتجوزك؟ شو بيشتغل؟

ليلى : ما قدرت وقتها جاوبها بشي... كنت فعلاً مالي قدرانة حدد مشاعرك تجاهي... وما جاوبتها بشي... قام حست عليي...!

(في المقاطع القادمة، على لسان شخصية الجدة تتحدث الشخصيات المستحضرة بطريقة الخطأ في ضمائر المذكر والمؤنث أي مثل اللغة التركية التي كانت

متداولة منذ زمن لدى المسنين، وذلك لخلق أسلبة مسرحية في البنية الحكائية في السرد)

صارت أمي تبكي... وقالتلي: أنت غلطت... أنا بعرف من شكلك من صوتك من حركاتك..

ضربتني كف، وقعدت تندب حظها... وتقول البنت بتجي وبتجيب بلاويها معاها..

ايه... الله يلعن البنات ويلعن خلفتهن..

وبدت تهددني... شي أنو بدها تحبسني، وشي أنها بدها تقول لجدي يحاسبني... لأنو أبي ممكن يرتكب جريمة فيني... وصارت تحكي معي متل ما أمها بتحكي معها... (الأم مقلدة الجدة): أنت حوماره كيف بتسمعي كلامها... كلامها كلو كذب بدها تلف وتدور لحد ما تاكل عسلاتك... بعدين اسمو دياب في حدا بالعالم بيسمي ابنه دياب....

وحبستني أمي بالبيت، لا طلعة ولا فوتة، ولا حتى على جنينة البيت... التلفون ممنوع والتلفزيون محرومة منه... صارت حياتي جحيم... فقررت أحبس حالي بالغرفة.. لآ أكل ولا شرب... قعدت بالتخت شهر، وشوي شوي غبت عن الوعي وكنت رح موت من الجوع... دبلت متل الوردة اللي بدون مي... وأمي وأبي جنو وصارت أمي تبكي طول الليل وتقلي الله يلعنه شو عمل فيكي؟ شو سحرك؟

وكنت أنا عم فكر فيك (تنظر إليه وتبتسم).

زارونا الجيران وقالتلن أمي شو صاير معي... فقالولها... هي أكيد راكبها جني أو متلبسها شي عفريت!! مدري

شـو الله يسـتر... وقامـت الدنـيا وقعـدت... وصـارت أمي تقللي... مستعدة اعمل أي شي بس كلي شي ... أي شي..

قلتلها وأنا دايخة: بدي روح لعند ستي...

وهادا اللي صار... أمي وأبي أخدوني لأقضي فترة نقاهة ببيت ستي... بركي برتاح وبغير جو... وبكون تحت اشراف ستي من جهة تانية .

الذئب : هديك كانت فترة كتير رائعة...

ليلى : طبعاً يا خبيث... ستي كبيرة روح قلبها النوم... وانت استغليت هالشي وصرت تنط كل يوم لعندنا.

الذئب : كنت روح كل يوم لبيت ستك... (ينتقلان إلى القسم الآخر من الخشبة) ونقعد وناكل ونشرب... نضحك... نفتح براد ستك ونبلش ناكللها أكلاتها...

على فكرة ستك بتطبخ أكل بيجنن وأكتر شي معلمة فيه هو المربى... وأنت بتعرفي أنا روح قلبي الحلو... خصوصي مع الزبدة والسكر.

ومن ورا أكلاتها لستك صرت حبها... لأنه كان عندها كنز من المربى... بغرفة المونة كانت مخزنة رفوف من المربيات... وقتها قلتيلي: الك عندي مفاجأة وأخدتيني عالقبو تبع ستك... وهنيك فتحنا قطرميزات المربى وصرتي تطعميني بايدك لحد ما دخت... وفجأة سمعت صوت حركة فوق... كانت ستك... سمعانة صوت وجاية لتشوف..

ليلى : قلتلك خود لبيس عبايتي مشان تتخبى فيها... وفجأة انفتح الباب

وطلعت ستي: قالت: مين هون... شو فيه شو عم يصير... شو يا ليلى؟ شو عم تعملي هون؟

الذئب : كيف حالك يا ستي ..؟

الجدة : منيح... الحمدلله... !

(ليلى تبتسم)

الجدة : (تنظر اليه بتمعن) وليش هيك شكلك بيخوف يابنت؟

الذئب : ما بيخوف بس الدنيا عتمة.. !

الجدة : وليش تمك كبير..؟

الذئب : مشان بوسك منيح يا تيته.. !

الجدة : وليش ايديكي كبار كتير؟

الذئب : مشان شيلك بقوة واحضنك يا تيته.. !

الجدة : وليش عيونك كبار كتير؟

الذئب : يبتسم... مشان شوفك منيح واتملاك يا تيته..

ليلى : وشعلت ستي الضو وشافت هديك الشوفة، شافتك لابس العباية تبعي وانا واقفة بالزاوية عم اضحك...

الجدة : أنت شو عم تساوي هون... أنت مين فوتك لهون... (يستغرب الذئب) وأنا عم قول لحالي مين عم يسرقللي صواني المربى اللي بعملهن... وياكلهن

الذئب : (بصوت خفيض) ليش انت قدرانه تعملي شي؟

الجدة : (تبدأ بالصراخ) يا سراق يا حرامي... يا عالم يا ناس... امسكوه.

الذئب : (بغضب شديد) ايه طولي بالك... أي شو أكلتك الك..؟

الجدة : يا حرامي... أنا بعمل المربى مشان الشتي وأنت جاية عم تاكلهن هلق... عم تسرقهن... امسكوه... حرامي!

ليلى : (تحرج من جدتها) يا ستي... ايه شو عمل يعني... طولي بالك..

الجدة : لأ ما بدي طول بالي هيدي مو حرامي هيدي ديب.. ! هيدي مو انسان هيدي حيوان شوف سنانو كيف لونهن.. !

الذئب : (يغضب بشدة بينما ليلى تخاطب الجمهور) وكأنو سنانو هيك من كتر أكل الكرز... دبغوا (تعود للمشكلة).

الذئب : ذكرتني بأيام المدرسة والتشرد ودقت في الحيونة عن جد فقلتلها: طيب موهيك عم تقولي، أنا بحبها وبحبها وبحبها وهي متل مرتي (يذهب نحو عبوات مربى الكرز فوق الرف ويفتحها ويبدأ بالتهامها أمام الجدة ويحتضن ليلى ويقبلها ويطعمها المربى بيده): دوقي حبيبتي دوقي، طيب مو؟

(ليلى تبدو محرجة جداً أمام الجدة لكنها لا تستطيع المقاومة أبداً

الجدة : (تنهار من الغضب بشدة وتبدأ بالصراخ) الله لا يوفقك يا حمارة يا حيوان أنت أكيد جنيت شو عم تعملي أنتي.

ليلى : أنا

الجدة : لأ أنتي... ذئبة... ذئبة!

(ومع ارتفاع أصوات الشجار يدخل رجل ضخم جداً هو والد ليلى فيسود الصمت ما عدا صوت بكاء الجدة بينما تبتعد ليلى عن الذئب)

ليلى : (إلى الجمهور) هادا بابا... متل ما قلتلكن كان يحب ينضف بارودتو دائماً لأنو ما بيعرف ايمتى بستخدمها...
(الوالد ينحني للجمهور ثم يعود): مين أنت ولاك... وشو عم تعمل هون؟
وأنت وليه ليلى أنا بفرجيكي تركتك ببيت ستك مشان تتربي طلعت عم تشوفي حيوانات من ورايي... انقلعي علبيت... وحسابي معك بعدين... (تركض ليلى وتختبئ خلف الباب بخوف).

الوالد : مين أنت يا أخ بقدر أفهم (يلقم البندقية)؟

الجدة : هي حيوان... حيوان متوحشة، انتبه منو أخدتلك بنتك وكان بدا تبلعلك ياه... مو بس هي وأنا كمان... (تنهار بالبكاء) وأكللي كل الكرز تبعي وتبع بنتك... حيوان
(ومع كلام الجدة يزداد غضب الأب بشدة يحمل البندقية ويتقدم نحوه)

الوالد : وأنا اللي رح أعملوا أني رح بزقك الدم وخليك ترجع كلشي أكلته أو أني شقلك بطنك وطلع كل شي جواه...
(يختفي الرجل والذئب في الداخل وتختفي الجدة من الجانب الأخر)
تتقدم ليلى إلى الأمام إلى مقدمة الخشبة..

ليلى : وهيك كشفنا البابا... وعرف كل شي بيناتنا..
قام فعلاً بزقوا الدم لحبيبي وخلا يندم على الساعة اللي تجرأ فيها ولمس شي مو ملكه متل ما قال.

بس أنا بحبو، دارت فينا الأيام ودارت ورجعت روح من الطريق الطويل لأنو في مناظر أحلى وبيخلي الواحد يتعلم أكتر، حبيت طريق الباص لأنو ما بحب التكسي ما بعرف ليش... وشفت كتير عالم ورجعت شفت حبيني مرة تانية بالصدفة ورجعنا لبعض...

(يظهر الذئب مجدداً وهو يحمل بخاخ ماء محل الزهور)

(يتعانقان)

ورجع البابا كشفنا... ورجع بزقه الدم... ورجعنا لبعض بالسر..

أهلي مو رضيانين فيه... لأنه حيوان متل ما بيقولوا وأنا أكتر شي حبيته فيه هوه حيونتو...

الذئب : (بنزق) أي يالله امشي...!

ومرت الأيام وأنا قاعدة بالبيت عم بستنى حبيبي

(يرقص الاثنان على نغم موسيقى فالس سعيد ثم يحملها ويتقدم بها الى مقدمة الخشبة)

ليلى : بدي قلكن شغلة، بعد تجربة صعبة، الذئب ما بيحب الغنم، متل ما بيقولوا، صحيح ممكن ياكلن، بس ما بكون مستمتع، الذئب طول عمروا بيحب ليلى... وليلى ممكن تحبه... ومشان هيك صاروا ليلى والذئب...

فلا تكونوا غنم أبداً... هربوا وبعدوا قد ما فيكن عن الراعي وزميرته، لأنو هوه اللي بيدعي أنو عم يحميكن آخر شي كمان بياكلكن... متلوا متل الذئب... وهي الخيار بأيدكن.

آه بعد كل هالشي ما بتذكر... غير صوت أمي عم بتقلي: خدي التاكسي... هه!
لا تفوتي بالغابة لأنو الغابة... طريقها معتم... أسود... وما حدا بيعرف وين بيودي... وكتير ممكن ياكلك الديب.
(يتقدم الذئب نحو الأمام، يتأبط ذراعها... يتركها للحظات... يتقدم نحو الجمهور... يأخذ بخاخ الماء... يرشق الجمهور ثلاث رشقات)

الذئب : آسف لا تتزعجوا... بتنعش شوي... ما هيك..؟
بس أنا آسف كمان مرة...!
الناس بتقول... المي فراق... وأنتوا بتعرفوا... أهل أول ما تركوا شي وما قالوه... ايه... وهي أنا عم بخكن..
(في هذه الأثناء نسمع موالاً للرحابنة بصوت جبلي وقاس):
(عيني ما تدوق النوم يا ديب... حاكمها قلق ونعاس يا ديب
غدي تسرح مع التيان يا ديب... . وتفعل ما تريد وتشتهيه)
(يعود إلى ليلى يتأبط ذراعها ويخرجان)
إعتام

تمّت

* قدم هذا العرض في دمشق، إخراج باسم عيسى، سنة 2008.

صدر للكاتب

- الريح والملح	مجموعة قصصية	دار كنعان – دمشق (2003)
- تفسير الأحلام	مجموعة قصصية	دار ممدوح عدوان (2007)
- ريح	مسرحية	سلسلة ذاكرة المسرح السورية (2008)

سلسلة ذاكرة المسرح السوري

1	أبو خليل القباني	ناكر الجميل
2	عبد الوهاب أبو السعود	وا معتصماه
3	وصفي المالح	طريق النصر
4	خليل هنداوي	هاروت وماروت
5	حكمت محسن	صابر أفندي
6	مراد السباعي	شيطان في بيت
7	حسيب كيالي	قارعو الأبواب
8	سلمان قطاية	القضية والحل
9	محمد الماغوط	العصفور الأحدب
10	وليد مدفعي	وبعدين؟..
11	وليد فاضل	إيفا
12	وليد إخلاصي	سهرة ديمقراطية على الخشبة
13	سعد الله ونوس	طقوس الإشارات والتحولات
14	فرحان بلبل	الممثلون يتراشقون الحجارة
15	علي عقلة عرسان	رضا قيصر
16	مصطفى الحلاج	الدراويش يبحثون عن الحقيقة

17 عبد الفتاح قلعجي — العرس الحلبي

18 رياض عصمت — لعبة الحب والثورة

19 ممدوح عدوان — ليل العبيد

20 حكيم مرزوقي ـ عبد المنعم عمايري — حلم ليلة عيد ـ صدى

21 زيناتي قدسية ـ موفق مسعود — مجنون يحكي وعاقل يسمع ـ الرجل الدائري

22 الأب إلياس زحلاوي — المدينة المصلوبة

23 أحمد يوسف داوود — الخطا التي تتحدر

24 شوقي بغدادي — تلك الليلة

25 الكتاب الشباب ج1

- عدنان العودة — خيل تايهة
- عمر أبو سعدة — ليلة
- محمد أبو لبن — آخر العشاق
- يم مشهدي — باريس في الظل
- الفارس الذهبي — ريح

26 الكتاب الشباب ج2

- هوزان عكو — بروانة أو الحرائق
- كفاح الخوص — حكاية بلاد ما فيها موت
- وائل قدور — الفيروس
- ليندا الأحمد — الملحق
- يامن محمد — قدم إلى الأمام قدم إلى الوراء

إصدارات دار ممدوح عدوان

- الأعمال المسرحية الكاملة. تأليف: ممدوح عدوان. ط1 (2006)
- هواجس الشعر/ دراسة نقدية. تأليف: ممدوح عدوان. ط1 (2006)
- أعدائي/ رواية. تأليف: ممدوح عدوان. ط3 (2007)
- الجنوبي/ سيرة الشاعر أمل دنقل. تأليف: عبلة الرويني. ط2 (2006)
- تفسير الأحلام/ قصص قصيرة. تأليف: الفارس الذهبي. ط1 (2007)
- جنون آخر/ مقالات. تأليف: ممدوح عدوان. ط1 (2007)
- النقد الذاتي بعد الهزيمة/ دراسة. تأليف: صادق جلال العظم. ط3 (2007)
- تقرير إلى غريكو/ سيرة ذاتية. تأليف: نيكوس كازنتزاكيس. ترجمة: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- زوربا البرازيلي/ رواية. تأليف: جورج آمادو. ترجمة: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- تهويد المعرفة/ دراسة. تأليف: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- حيونة الانسان. تأليف: ممدوح عدوان. ط2 (2007)
- مختارات شعرية. تأليف: أمجد ناصر. ط1 (2007)
- تاريخ التعذيب/ دراسة. تأليف: بيرنهاردت ج. هروود. ترجمة: ممدوح عدوان. ط2 (2008)

- أطياف ممدوح عدوان: شهادة الحياة وشهادة الإبداع (حوارات منتخبة)/ دراسة. تأليف: أ د محمد صابر عبيد. ط1 (2008)
- حكاية الشيخ أبي خليل القباني والوالي مدحت باشا العثماني./ مسرحية. تأليف: دلع الرحبي. ط1 (2008)

قرأت المسرحية عدة مرات فازداد إعجابي بها جداً وساعدني المؤلف الذهبي كثيراً بإشاراته وتوجيهاته . فجعلني أحوّل في مخيلتي النص إلى عرض . أعترف بأنني استمتعت به كثيراً. ولا شك أن المؤلف أدرك بحسه المرهف الرائع وقراءته الدقيقة للموضوع أن علاقتي بمولانا ستساعدني على فك شيفرة توجيهاته وإشاراته وأرجو أن أكون نجحت بل و أرجو للمخرج و الممثلين وصانعي الديكور والموسيقى أن يجيدوا قراءة هذا النص الذي لا أتردد الآن في القول أنه مذهـــل.

د. نصر حامد أبو زيد

دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع